كلية الدراسات العليا

برنامج الديمقراطية وحقوق الانسان

الحركة الفلسطينية الأسيرة 1967- 1992: النضال من اجل الهوية الوطنية.

رلى يعقوب ابو دحو

تاريخ النقاش: 2014/6/23

اشراف

د. هيلغا باومغارتن

لجنة النقاش

د.جورج جقمان **د. احمد حمد عزم**

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج الديمقراطية وحقوق الانسان من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين.

كلية الدراسات العليا

برنامج الديمقراطية وحقوق الانسان

الحركة الفلسطينية الأسيرة 1967- 1992: النضال من اجل الهوية الوطنية

Palestinian Prisoners Movement 1967-1992: Struggle for the National Identity

رلى يعقوب ابو دحو

تاريخ النقاش: 2014/6/23

اشراف

د. هيلغا باومغارتن

لجنة النقاش

د.جورج جقمان **د. احمد حمد عزم**

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج الديمقراطية وحقوق الانسان من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين.

اهداء

الى رفاق ورفيقات الاسر

أقول للمحكم الأصفاد حول يدي

هذي أساور أشعاري و إصراري

في حجم مجدكم نعلي، و قيد يدي

في طول عمركم المجدول بالعار

أقول للناس، للأحباب: نحن هنا

أسرى محبتكم في الموكب الساري

في اليوم، أكبر عاما في هوى وطني

فعانقوني عناق الريح للنار

محمود درويش

شكر وتقدير

كثيرون هم، الصديقات الاصدقاء والعائلة، الذين تمنوا لي النجاح، وقدموا لي الدعم المعنوي لكي انهي هذه الدراسة رغم كل الظروف التي احاطت بي. لهم جميعا المحبة والتقدير.

وفي مسيرة الكتابة اود شكر من ساهم بشكل مباشر وقدم لي كل مساعدة ممكنة:

الرفيق العزيز غازي الصوراني " ابو جمال"، لتوفيره ارشيف منظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الاسر "سجن غزة المركزي".

د.هيلغا بامغرتن، التي استطاعت احضار الارشيف من غزة رغم كل الصعوبات المحيطة بذلك.

الرفيق وصديق الدرب والحياة وسام رفيدي، لمراجعته المادة وللنقاشات المستمرة بيننا على مدار العمل لإنجاز الدراسة.

د. احمد حمد عزم، للمراجعة اللغوية الكثيفة والملاحظات على الدراسة.

د. جورج جقمان لتعاونه واهتمامه في لجنة النقاش.

معهد دراسات المرأة لدعمه الدراسة خاصة الفيلم الوثائقي .

محتويات الدراسة

المحتويات	ت
الملخص بالعربية	ح
الملخص بالإنجليزية/ Executive Summery	ذ
الفصل الاول: مدخل البحث وخلفيات الدراسة	1
في مبررات الدراسة:	2
الاطار النظري: حول القومية– مقدمة نظرية	2
في الهوية الوطنية الفلسطينية	12
حول مجتمع الاسرى والسجون– استعراض ادبيات	19
اشكالية (سؤال البحث)	27
في المنهجية	28
ملاحظات منهجية	29
اولا حول النصوص الاصلية	28
ثانيا المقابلات	32
ثالثا مجتمع البحث	33
رابعا النطاق الزمني للدراسة	34
خامسا في بنية الدراسة	35
الفصل الثاني: ادوات تنظيمية: كادر مؤدلج ومنضبط ومؤسسات اعتقالية تواجه الصراع	37
مجتمع الاسرى: الفرد الجماعة، والمؤسسة	40
أ. الانتظام التنظيمي	40
ب. الكادر المنضبط المؤدلج	46
ت. الجماعة: المجتمع الاسير	52
ث. في المؤسسة الاعتقالية واللوائح التنظيمي: اللجنة الوطنية العامة: الكيانية السياسية) للأسرى	54

الفصل الثالث: البرنامج الثقافي "جبهة صياغة الرؤية"	65
التثقيف والهوية الوطنية	73
ما بين الوطني والسياسي والفكري: استحضار رموز الثقافة للهوية الوطنية	76
قراءة في بعض المجلات الثقافية الاعتقالية	78
الفصل الرابع: النضال والاضراب: خيار لا بد منه	86
اوضاع السجون	86
القمع الجسدي والاذلال	89
سياسات حلق شعر الرأس والشارب	92
كلمة" سيدي"	92
سياسات العمل	93
الفورة	97
الاكتظاظ والازدحام	98
سياسات العزل: نفحة والتحول التاريخي	99
الاضراب عن الطعام: العنوان الابرز في المقاومة المستمرة	101
الفصل الخامس: الخلاصة	104
الملحق المركزي: محطات اساسية في تاريخ الحركة الوطنية الاسيرة 1967-1992	107
1967: البدايات	107
1970- 1973 مرحلة الانتفاضة على سياسة القمع	110
1973-1976 الحركة الوطنية الاسيرة	111
1976-1978 مزيد من تريكم الانجازات	111
1979 تبادل الاسرى	111
1980 الاضراب التاريخي لسجن نفحة	111
1983 الاسيرات	112
1984 اضراب تاريخي آخر	113
1985 مرحلة جديدة	113

1987 الانتفاضة الفلسطينية	114
1988 مفصل تاريخي للأسيرات	114
1992 اضراب غير مسبوق	115
قائمة المراجع	117
قائمة الملاحق	125
الملاحق 1-8	136-126

الملخص بالعربية

الصراع، وفق التجربة الأوروبية الحديثة والمعاصرة، وكما يشير العديد من المفكرين والدارسين، كان هو مولد ومحرك تشكل الهوية القومية كصيرورة تاريخية كان للتطور الاقتصادي والاجتماعي عاملا اساسيا ومهما، فيما كان لهذه الهوية رموزها ودلالاتها المعبرة عنها.

لم تكن الحالة الفلسطينية خارجه عن هذا الفهم، حيث ولّد الصراع مع المشروع الصهيوني مفهوم الهوية الوطنية الفلسطينية، والتي بلغت ذروة تبلورها مع احتلال الجزء الاول من فلسطين في العام 1948.

وبالنظر الى الهوية ومكوناتها يمكن الاستنتاج ان الهوية يتم التعبير عنها عبر مجموعة من الرموز والدلالات المختلفة. التاريخ، اللغة والارض المشتركة، وكل الرموز الاخرى من الكوفيه الى الثقافة الشعبية الى الأناشيد إلى شخصية الحج أمين الحسيني والعديد من الرموز، الى استحضار ارواح شهداء عكا، الى منظمة التحرير الفلسطينية لاحقاً.... هي رموز وتعبيرات للهوية الوطنية المقاومة في وجه الاستعمار الاستيطاني الصهيوني.، وبداية تراكم سلسلة طويلة من الرموز والدلالات المعززة للهوية الوطنية.

لاحقا، مع احتلال ما تبقى من فلسطين في العام 1967، يغدو الاسرى والحركة الاسيرة الفلسطينية، من هذه الرموز أيضاً، والتي بلورت هويتها كحركة اسيرة ليس بمعزل عن، ولكن بالتحايث، مع النضال وحركة المقاومة الفلسطينية. والاعتراف بالمنظمة لاحقا في 1973 كممثل

وحيد وشرعي للشعب الفلسطيني، باعتبارها غدت الكيان السياسي المجسد، مع ميثاقها الوطني، ابرز مقومات الهوية.

تمحورت إشكالية الدراسة في الوقوف على ميكانزيم البنية التنظيمية الأسيرة والحياة الثقافية في المعتقل والمواجهة مع إدارة المعتقل، في كونها أبرز مسببات تعزيز الهوية الوطنية داخل المعتقل ولدى جموع الأسرى.

واستنتاجاً، لما كانت الهوية هي صياغة رؤية للذات تجاه الذات ذاتها وتجاه الاخر، فإن الصراع مع إدارة المعتقل، والمستند للبنية التنظيمية وآليات التثقيف، يخلق حالة من النضال نحو تأكيد الذات، وبالتالي تأكيد للهوية، والذات هنا هي الذات الجمعية للحركة الاسيرة.

وعليه تفترض هذه الاشكالية، وضمن مفهومنا اعلاه لتشكل الهوية الوطنية، وجود عناصر وادوات محددة ومركزية فاعلة تعمل على صياغة الهوية والتعبير عنها كجزء من الهوية الوطنية الجمعية، وهي صياغة رؤية ثقافية مزدوجة للذات ومقابل الآخر، عبر رموز أساسية تشكل مضامين وتعريفات للهوية الوطنية. بناء الادوات التنظيمية، الفرد ، الجماعة، المؤسسة الاعتقالية والتي من خلالها تفعل فعلها في التاريخ وتتجسد الرؤية عبر سياسات الهوية وادواتها داخل المعتقل.

تعتمد الدراسة، منهجياً، تحليل ارشيف الاسرى وأدبياتهم الخاصة لمعالجة اشكالية البحث، حيث تشكل مصادر اولية وغنية تساهم في الاضاءة الجدية على ما تسعى اليه الدراسة.

لقد خلصت الدراسة الى أن الاسرى لعبوا دورا اساسيا في تعزيز الهوية الوطنية الجامعة، فيما شكل الصراع مع الاحتلال عبر ادارة السجون وما تحمله من سياسات قامعة للأسير كفلسطيني مقاوم ويشكل النقيض لها، محور مركزي في تطور رؤية الذات الجمعية للهوية الفلسطينية لدى الاسرى. وشكلت المواجهة اليومية المستمرة في مقاومة سياسات القمع العمود الفقري لبناء المجتمع الاسير المقاوم كرديف للمجتمع الفلسطيني المقاوم خارج الاسر في فلسطين المحتلة، وكل ذلك عبر مثلث الثقافة، المؤسسة الاعتقالية والبناء التنظيمي، والصراع المباشر في مقاومة سياسات القمع وابرزها الاضراب عن الطعام.

Executive Summery

Conflict, according to the European contemporary experience, and as indicated by many researchers and scholars, is the instigator and mechanism by which national identity is created as a historical necessity for economic and social development. Such identity was represented by essential national symbols and connotations.

The Palestinian case was not outside this understanding, whereby the Palestinian national identify was provoked by the conflict arising from the Zionist project and reached its height of crystallized with the first part of the occupation of Palestine in 1948.

Given the identity and its components we could concluded that the Palestinian identity is expressed through a variety of different symbols and connotations, history, language and common land, and all the other from symbols of national scarf ‘Kofahia’ to popular culture, national songs, national figures such as Hajj Amin al-Husseini and the many other national figures including provoking of the souls of the martyrs of Acre and to the

PLO later .... all these are symbols and expressions of the Palestinian national and resistance identity in the face of settler colonialism Zionist., and the beginning of the accumulation of a long series of symbols and signs of enhanced national identity.

Later, with the occupation of the rest of Palestine in 1967, the Palestinian prisoners' movement became an essential part of the symbols that crystallized their identity as a prisoners movement is captivity but not in isolation from the national movement. However, the national struggle and the Palestinian resistance movement and the recognition of the PLO in 1973 as the sole and legitimate representative of the Palestinian people as it became a political entity embodied with the national charter, are the most prominent elements of the Palestinian national identity.

The study focused on the problem of understanding the mechanism of the organizational structure of the prisoners, the educational and cultural life in prison and the confrontation with the prison administration as its being the most prominent causes for the promotion of national identity within the prison and among the masses of prisoners.

Therefore, since identity is to formulate a vision of the self to the self itself and toward the other, the conflict with the prison administration which based

on the organizational structure and mechanisms of education, creates a state of struggle toward self-assertion, and thus confirmation of the national identity, and self here is the self-assembly of the movement of prisoners .

Hence, this dilemma assumes that within our stated perception about the formation of the national identity, the presence of elements and specific and effective tools are central in working toward the formulation and expression of identity as part of the national identity of the Assembly, which is to formulate a vision of cultural of the self and against the other, and through the essential symbols that formulate the contents and definitions of national identity: building organizational tools, individual, group, prison organization, all which together work through articulating the history and the vision embodied on the politics of identity and its tools inside the prison.

The study is based on a systematic analysis of the prisoner's archives and prisoners' own literature to address the problematic search. This material provided a rich and primary source contributing to the seriousness of what the study sought to achieve.

The study concluded that while the prisoners played a key role in the promotion of the universality of Palestinian national identity, the conflict with the occupation through the prison administration and their oppressive

policies towards the prisoners as a symbol of the Palestinian resistance was a central element in the development of the vision of self-assembly of the Palestinian identity among the prisoners. Moreover, the continued daily confrontation in resisting the policies of repression of the prison authority formed the backbone of community building of the struggling prisoners synonymous with the struggling Palestinian community outside the prison in occupied Palestine, and across the cultural triangle, of the prison institution, the organizational structure, and the direct conflict to resist the policies of repression of which and most prominent is the hunger strike.

الفصل الاول

مدخل البحث : مبررات وخلفيات الدراسة

المقدمة:

فيما كانت حافلة الشرطة تسير على الطريق من مركز توقيف المسكوبية في القدس الى سجن الرملة للنساء، كنت احاول ان التقط من خلف زجاج الشباك اكبر قدر من التفاصيل فهذه ستكون رحلتي الاخيرة ولزمن طويل. التقط التفاصيل للشوارع والمزارع والجبال، وافكر في الحياة التي تنتظرني في زنزانة مغلقة سجن مسّور يحجب العالم عني. مرت سنوات طويلة في الاسر وخارجه بعد ذلك، وما زلت انظر لحياة الاسرى والاسيرات في سجون الاحتلال الاسرائيلي بشيء من حالة الاعجاب لعالم سحري نحتاج كثيرا لفك رموزه.

واليوم وانا على اعتاب انهاء مرحلة جديدة، يطاردني هذا العالم بقوة لأفتح بعضا من سراديبه وخفاياه، ليس كما اعتاد الجميع بوصفه بعالم الابطال والمناضلين والصامدين، بل كمكان يعيش فيه الالاف ضمن مجتمع له قواعده وأصوله وعلاقاته وتعقيداته، مجتمع ينتج المناضلين ولكن ايضا ينتج القادة ويلهم الشعب بالصمود والتحدي. مجتمع تختلط فيه قوة الإرادة، برقة المتفائل، بوعي عميق للذات وللنضال. ولا أبالغ القول قد يكون مجتمع الأسرى والأسيرات الفلسطينيات من المواقع النضالية القليلة التي ما زالت قادرة على البقاء والتحدي وقادرة على صنع الوحدة في زمن الانقسام وإعادة انتاج الهوية الوطنية بكل معانيها المقاومة.

في مبررات الدراسه

الاطار النظري

حول القومية الهوية الوطنية– مقدمة نظرية:

يعتقد هوبسباوم(Hobsbawm 1992) ان مفهوم الامة هو حديث العهد من الناحية التاريخية، ويشير الى "فكرة الوحدة السياسية والاستقلال"، وهو مفهوم ترافق مع الثورات وخاصة الفرنسية احدى المحطات البارزة في تشكل الامة ولاحقا مفهوم المواطنة.

كان من الطبيعي ان الطبقة البرجوازية الناشئة والطامحة لبناء اقتصادها تسعى لتوحيد السوق عبر القضاء على كل الحواجز التي انشأتها الممالك الاقطاعية على مر العصور بين المقاطعات التي كانت تتكلم لغة واحدة. هذا السعي لتوحيد السوق كان يتطلب ان يحايثه توحيد على صعيد الرؤى والتصورات والرموز. وهو ما يعتبره هوبسباوم(Hobsbawm 1992) المبدأ الاساس للقومية والمشروع ايضا فيما التجزئة مرفوضة وتضرب اسس القومية، تلك القومية التي تجمع ما هو مشترك وموحد من تاريخ، لغة، ثقافة.. أي رؤى وتصورات وذاكرة جمعية، وتبرز عبر الدعم الجماهيري كحركة قومية، أي الجماعة الموحدة تخلق هذه الهوية وتناضل من اجلها.

لذلك يمكن التقدم مع تصور هوبسباوم واعتبار ان مسالة القومية هي عبارة عن التداخل بين السياسة، وهي هنا الثورة البرجوازية، التطور المعرفي والتقني، الذي لازم الثورة البرجوازية، والتحولات الاجتماعية الناتجة عن التحولات في الحقل السياسي، كلها جميعها تتشابك لتخلق القومية والهوية الوطنية الجامعه كما هو بالفهم الماركسي حسب هوبسباوم.

اما بندكت اندرسون(Anderson 1991) فينطلق من اعتبار ان القومية هي جماعة متخيلة محددة وذات سيادة، والتخيل بالنسبة لبندكت لا يعني بالضرورة أن الفرد يعرف الاخر شخصيا ضمن "جماعته" ولكن بمعنى انه يضع في تصوره الحدود التي تجمعه مع الفرد الاخر عبر ما هو مشترك من تاريخ وثقافة، بمعنى ليس بالضرورة التجمع ضمن المكان الواحد والمعرفة المباشرة وجها لوجه لكافة افراد المجموعة لبعضها، بقدر ما هو مهم التصور المشترك للعلاقة الجمعية وهو حقيقي يتم بناءه وليس وهم يتم تخيله. وتلك قضية سياتي على ذكرها ايضا ساطع الحصري(1988) في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي وسناتي على ذكرها لاحقاً. وفي هذا الصدد فهو يعتبر اللغة، الادب، الكتابة (الكتابة الطباعية) الصحافة ادوات مهمه في بلورة القومية المتخيله وصنع الهويات او احياءها، وفي ايجاد هذا الجامع بين جماعة القومية الواحدة (Anderson 1991) وهذا يقودنا لمفهوم سياسات الهوية، بمعنى ان الهوية ليست كالفطر نبت شيطاني، او مؤامرة ماسونية صهيونية على الاسلام كما اعتاد الفكر الإسلامي السياسي التقليدي الادعاء، بل نتاج تفاعلات تاريخية، سياسية واقتصادية واجتماعية محلية من جهة، وسياسات موجهة من جهة ثانية من الكيان السياسي، الدولة او مَنْ بمنزلتها، كمنظمة التحرير الفلسطينية مثلاً.

ويعلن اندرسون أن هذه الحركات الجماهيرية القومية المتصاعدة كانت تلعب دورا في بلورة المزيد من المضامين على "الهوية القومية"، "أي تحريك اشكالا معينة من مشاعر الانتماء الجمعي والروابط التي تشكل الارهاصات القومية"(Anderson 1991: 51)، وعبر هذا الانتماء الجمعي

كانت تتشكل روابط ونخبة وتنظيم سياسي ومفردات أساسية مثلا العلم القومي والسلام الوطني والمؤسسة، والرواية الشعبية، والازياء، وهذه مسألة يتفق فيها ايضا هوبسباوم مع اندرسون.

ويستكمل هوبسباوم (Hobsbawm 1992) من هذه الدلالات ليضيف ان اللغة والرموز تشكل جزء مهم من الهوية وتميز شعبا عن آخر والحدود بين شعب وآخر، وان الرموز الوطنية أي كانت بالنسبة للمجموعة الواحدة من قصص شعبية ادوات ملابس..الخ هم ملمح مهم لتشكل الجماعة ضمن هوية واحدة ، فيما يشير بندكيت اندرسون الى ان اللغة كرمز تلعب دور في خلق الجماعات ذات الهوية الواحدة وفي هذا الصدد يشير تحديدا للغة العربية، وحيث اللغة رمز متناسق وحقيقي يفضي الى هذا المجتمع للمتخيل والتحولات الى القومية، وخاصة مع التطور في اللغة الطباعية والتي اسست كما يراها بندكت الى الوعي القومي حيث اوجدت اتصالا موحدا ادركت عبره الجماعة ما هو مشترك بينها ويشكل اختلاف عن غيرها وبالتالي هذه الخصوصية هي الارهاص المركزي والاساسي لتشكل الجماعة القومية المتخيلة وعلى المدى البعيد بناء صورة "الموروث الجوهري في فكرة الذات القومية" حسب تعبير اندرسون(1991 :56) ، وهكذا يتفق اخيرا مع هوبسباوم الذي يعتبر ان اللغة كرمز تعد من العناصر المهمة والاساسية التي تساهم في التعريف الحديث للقومية وللتصور الشعبي لها ايضا، أي وان اختلفوا في تحديد حجم الدور الذي لعبته اللغة في صياغة الهوية القومية، الا انها بالتأكيد اداة ورمز مهم لا يمكن تجاهله او اقصاءه. وبذلك فيما تصبح تعبير عن القومية ايضا تصبح اداة لتعريف التناقض مع الاخر المستعمر ورفضه لهم كما ذهب هبسباوم بذلك. وهذا ما سنقاربه لاحقا مع موضوع البحث.

ولعل أهم مؤسسة هنا هي مؤسسة المدرسة والتعليم العام، الذي لا يقوم فقط بتنظيم آليات السيطرة عبر الثقافة التعليم، بل ويقوم، وعبر الثقافة والتعليم بتعميم سياسات هوية مناسبة للنظام السياسي القائم. هذا ما سنعود إليه لاحقاً. فهذا يعني مباشرة ان مسألة الهوية تحيل على ما يمكننا وصفه بالذاكرة الجمعية التي تشكل ما يعرف برؤية الشعب لذاته في التاريخ.

وسواء كان أندرسون او هوبسباوم، ولاحقاً سنجدها أيضاً عند الحصري(1988)، فالتاريخ واللغة يحتلان مكانة هامة كحوافز/ عوامل/ لتشكيل الهوية. اللغة هنا مأخوذة لا كوسيلة اتصال بالمفهوم الضروري ولكن المبسط كثيراً، بل باعتبارها ناقل للتجربة البشرية، ولذلك نلحظ أهمية تركيز اندرسون على الطباعة، الرأسمال الطباعي حسب عزمي بشارة (2008) في تبلور الهويات. فالتجربة البشرية المتراكمة لمجموعة بشرية ما، تتحول لشعب في لحظة فارقة، لا يمكن نقلها الا عبر اللغة، ولا يمكن تركيمها وحفظها إلا عبر تعميمها عبر وسائط لغوية وكتابية. فاللغة، والحال هذا تغدو وسيلة نقل التجربة البشرية، وتالياً الوسيلة الأهم لتشكيل الذاكرة الجمعية باعتبار أن هذه الذاكرة لا تتشكل أصلاً إلا على قاعدة من تجربة بشرية.

إن هذه الذاكرة الجمعية، وعبر سياسات الهوية، تغدو ممراً ضرورياً لتضع تلك المجموعة البشرية، الشعب في لحظة ما، تصورها لذاتها في التاريخ، موقعها، بغض النظر عن حقيقيته او أسطرته.

وعند هذه القضية، حقيقية او أسطرة التاريخ والرؤية للذات، يمكن الاستعانة بالحصري الذي يرى في حديثه عن الوطنية والقومية ان أفراد الشعب الواحد لا يشترط ان يجمعهم عرق وأصل واحد

مشترك، بل من المستحيل تصور هذا، بل ما يجمعهم هو اعتقادهم بالأصل المشترك (الحصري 1988).

وسواء أكان في هذا الأصل بعضاً من الحقيقة التاريخية، كمثل تحدر العرب، على العموم، كأصول من جزيرة العرب مثلاً، لكن فيه غير قليل من الأسطرة عندما يعتبر كل عربي في موريتانيا مثلا ان أصلا مشتركا يجمعه مع كل عربي في لبنان! إن ما يشكل القومية، او الهوية بلغة اخرى، هو ذلك الشعور بالتاريخ المشترك والذي يتولد منه مشاعر ورغبات وطموحات وبعض من رموز...تشكلت عبر الذاكرة الجمعية نتاج التاريخ المشترك وتناقل التجربة المشتركة.

ومنطقياً يصعب تصور وضع الشعب لرؤيته لذاته في المستقبل دون تدخل النظام السياسي عبر وضع هذه الرؤية موضع التعميم من جهة والتلقين، بوسائل عديدة، من جهة أخرى. هنا يمكن الاستناد لمفهوم بورديو حول صناعة العقول، ولنقرأها تعميم تصور موحد من النظام السياسي للرؤية (بورديو 2012)، ولمفهوم البنى والمنظومات وجهاز التعليم الأيديولوجي لألتوسير (Althusser 1970) الذي يستهدف إعادة انتاج الإنسان، ولنقرأها ثانية إعادة انتاج تصور موحد من النظام السياسي كتحوير ماركسي معاصر لمقولة ماركس حول إعادة إنتاج شروط العمل.

كل ما سبق ذكره يمكن ببساطة ربطه بالعمل الثقافي والتنظيمي في الأسر وأثره في خلق هوية وطنية وتعزيزها. فالمؤسسة في الأسر، تعني الأطر الوطنية من جهة والأطر التنظيمية الفصائلية من جهة أخرى وعبر برامج التثقيف المحلية والمركزية كانت إنما تعتمد سياسات هوية ذات طابع (قهري إلزامي) لإعادة انتاج الهوية الوطنية بما تحمله من ذاكرة جمعية ورؤية، حقيقية ومؤسطرة للتاريخ الوطني، ورموز سنأتي لاحقا على تفصيلها.

يهمنا هنا التأكيد فحسب: إن ما طوره اندرسون وهوبسباوم والحصري إنما يصب مباشرة في نطاق دراستنا هذه. ان الشعور بالهوية الوطنية/القومية الواحدة والجماعة ليس فقط له من الدلالات والرموز واللغة والتاريخ المشترك، ولكن يتجلى اكثر ويظهر في ظل احتدام الصراع وحيث يشكل التهديد الخارجي والاستعماري خطرا على بقاء وتماسك المجموعة وعلى مصالحها المشتركة، وبالتالي تصبح العناصر المشتركة السالفة الذكر من الاهمية بمكان لتعزيز صمود وبقاء الجماعة الوطنية في وجه التهديد المفروض عليها، ويصبح التأكيد المستمر عبر الممارسة اليومية مسالة اساسية وضرورية تمارسها الجماعة في مواجهة هذا الصراع المفروض. وهذا ما يؤكده اندرسون بأن عملية الصراع بين ابناء الوطن الام واي وافد جديد هي التي رسخت اكثر مفهوم الجماعة القومية والتي يفترض فيها اندرسون ان المكان ايضا يصبح احدى الدلالات الاساسية على الهوية حيث الوطن الام، أي أين ولدنا واشتركنا بالرموز والدلالات والاشكال التعبيرية والحياتية المختلفة منها اللغة، التقاليد المختلفة، الكتابة.. الخ هي الجماعة القومية والهوية الجامعة.(Anderson 1992).

تشكل ايضا الثقافة والدور التثقيفي الذي يلعبه المثقفون عبر تملكهم اللغة والاطلاع على الثقافات المختلفة، والصاعد بفضل انتشار التعليم الذي ايضا تطور مع انتشار اللغة الطباعية أي عصر الاله الطباعة، والذي خلقت حسب تعبير اندرسون(1992) "المثقف الطليعي في عصر الاستعمار"، حيث لعب المثقفون دورا في صياغة وتعريف الجماعة والمجتمع القومي الوطني المتخيل، وقد شكلت كتابات المثقفين عن الوطن والوطنية، والاستعمار كطرف غريب مفروض على الجماعة ركن اساسي في النضال الوطني وفي الالهام الثوري. فيما شكل بالاساس التعليم

الموحد للجماعة المتخيلة سواء الطالب آت من الريف او المدينة وحده حال وفرضت التساؤل والنتائج حول ما يجمع هؤلاء الطلبة من وحدة تاريخ ومصير مشترك. واما بالنسبة للثقافة يمكن ان نضيف هي ليست مجردة بل مليئة بالدلالات عبر الشعر، والنثر، الادب، الموسيقى الفنون الشعبية والرسم..الخ، وهنا مرة اخرى يستحضر اندرسون هذه الرموز وكأن لسان حاله يريد ان يؤكد ان هذا المجتمع المتخيل ليس مثاليا بل ماديا مجسدا وفق رموز دلالات محددة لا يمكن العبث بها. أي ان اندرسون يميل ليس فقط لتعداد العناصر بل يذهب اعمق لتحديد ماهية العناصر سواء كانت اللغة او الثقافة بمدلولاتها المختلفة ما يضعنا اما العديد من النصوص التي يمكن الاستشهاد بها لتعزيز فكرة الثقافة كمحور مركزي لتحديد الهوية الوطنية.

وبالاستناد إلى اندرسون وحديثه السابق عن الهوية كتعبير عن التناقض مع المستعمر الآخر. إن هذا يقودنا مباشرة لأهمية ربط تشكل او تبلور الهويات بالصراع. إننا نتبنى القول أن الهوية الوطنية لم تتبلور بمعزل عن الصراع، وإن كنا سنفصل القول لاحقا في هذا عند الحديث عن تبلور الهوية الوطنية الفلسطينية، إلا اننا نميل للقول هنا، تعليقا على ما ذهب إليه اندرسون، وما المح إليه هوبسباوم، ان الهوية الأوروبية الحديثة ما كانت لتتبلور إلا في معرض الصراع ضد النظام الإقطاعي وطبقة الملاك من جهة، وضد الكنيسة وتصوراتها الميتافيزيقية من جهة أخرى. فالصراع والحال هذا هو مولد، محرك تشكل الهوية.

هذا الصراع مثلاً، مأخوذاً على الحياة الاعتقالية، وقبله على الحالة الفلسطينية على العموم، هو مدخلنا في الدراسة لفهم دور الحركة الاسيرة في تعزيز الهوية الوطنية في الأسر، فسواء قبل

الاسر، او اثناءه، فإن الصراع كان الثابت الأكبر في حياة الاسرى[1]، قبل الأسر وبعده، وبالتالي نعتقد انه مدخل أساس في فهم الموضوع الأساس في دراستنا: دور الأسرى في تعزيز الهوية الوطنية.

اما ما يتعلق بالهوية والدين، هناك جدل حول الهوية الدينية وان كانت تشكل احد المحاور الاساسية للهوية القومية كما هو الحال في ايرلندا الشمالية. يعتقد هوبسباوم انه ليس بالضرورة كذلك لكافة القوميات والحالات، فعلى سبيل المثال في حالة القومية العربية في ظل الإمبراطورية العثمانية، حيث المشاعر قومية وليس دينية هي التي كانت الجامعة، وهذا يؤدي الى الاستنتاج حسب هوبسباوم ان "ارهاص النزعة القومية أي وعي الانتماء الى كيان سياسي دائم اقوى رابط" هو الامة التاريخية كما هي الحالة العربية(Hobsbawm 1992).

وكان الحصري قد افرد حيزا مهما لعلاقة الدين بالقومية، وتاليا الهوية، إذ اعتبر أن الدين عاملاً ثانوياً في تشكيل القومية لا عاملا اساسياً محتجاً بأن الدين لم يشكل كيانات سياسية ثابتة في التاريخ إلا لفترات صغيرة لا يعتد بها (الحصري 1985). ولكن من جهة ثانية يمكن ببساطة محاججة الحصري، ومن بعده هوبسباوم حول الدين، كثقافة وكإطار حضاري تم بداخله المنتج الحضاري التاريخي للعرب سيلعب دورا اكثر من ثانوي في تشكيل الهوية القومية، وليس في هذا، كما نعتقد، نزعة طائفية تستبعد المؤمنين من الاديان الأخرى أو غير المؤمنين، فكل هؤلاء كانوا جزءا جرى هضمه تاريخياً في ذات الإطار الحضاري، رغم التمييز الذي ينشأ من اعتبارهم رعايا او أهل ذمة.

---

[1] اينما يظهر مصطلح الاسرى الفلسطينيين يكون المقصود الاسرى والاسيرات.

[2] مصطلح الاخر تبلور بقوة واصبح متداولا بشده في تعبيره عن الاحتلال الصهيوني ما بعد اوسلو هكذا اصبح يعرف لدى المؤسسة الرسمية الاعلامية والسياسية للسلطة الناشئة عن اوسلو.

وان كان تطور القومية ما بعد الثورات في اوروبا قد اوجد المواطنة، وبالتالي اصبح المصدر الاساسي يعتمد على الحصول على حق المواطنة، بحيث تبدأ قيمة مفهوم الوطن بالظهور، ولكن صيرورة هذ الوطن يعتمد ايضا على المشترك الجماعي، وان كان متخيلا بتعبير اندرسون، وبالتالي، مرة اخرى نحن امام القواسم المشتركة التي تعززها الجماعة من ذكريات ، تاريخ، رموز، بنى مؤسساتيه... الخ وهي التي تصقل بالنهاية هويتهم المشتركة الوطنية، وبالتالي تنتصب خلفها سياسات هوياتية مناسبة، فتكسب الوعي القومي، عبر وعي كافة الدلالات الاجتماعية والسياسية السالفة الذكر.

ان التحولات الكبرى في بدايات القرن الماضي ومع صمت مدافع الحرب العالمية الاولى، تمثلت بانهيار الامبراطوريات القديمة ونشوء توازنات سياسية جديدة تمثلت بالثقل النامي للاتحاد السوفيتي الوليد آنذاك ودعمه العلني لحركات التحرر، تعززت بقوة اكبر النزعات القومية والتحررية والتي باتت تعرف بحركات التحرر الوطني خاصة في دول العالم الثالث، ردا على الاستعمار الجديد الذي فرضته القوى المنتصرة في الحرب العالمية واتفاقياتها التقاسمية للعالم الثالث وابرزها سايس بيكو. ان الخطر الذي فرضه الاستعمار على الشعوب والتعامل مع العالم الثالث كتركة ينبغي تقسيمها، ساهم وعزز الاحساس القومي بالهوية الوطنية وكل ما هو مشترك للجماعة.

وفلسطين ليست بمعزل عن ذلك، فإن الاحساس بالخطر الصهيوني الداهم منذ بدايات المشروع الاستيطاني بمساعدة من الاستعمار البريطاني قد احدث وبقوة نقلة في "النزعة القومية والانتماء الى هوية وطنية فلسطينية مرتبطة بفلسطين" جغرافيا، وهذا ما يؤكده اندرسون(Anderson

1991) عندما يعتبر ان هذه الظروف والصراع المحتدم مع القوى الاستعمارية بالنهاية سيخلق ليس فقط الجماعة المتخيلة والهوية الوطنية بل الشعور القومي والذي يؤدي للارتقاء بفكرة "التضحية في سبيل الوطن" وهي الفكرة والقضية الاسمى التي لا يضاهيها اية تضحية ممكنه لمجموعات فرعية وثانوية داخل الجماعة القومية الكبيرة، مثل جمعية او حزب، وبالتالي فإن الموت في ظل الصراع ولأجل الوطن يتحول الى استشهاد وليس موتا طبيعيا. هنا تكتسب رمزية الشهيد وما يحيط به من قداسة واسطرة بعدا جديداً، وطنياً، يغدو مع الوقت جزءاً من منظومة رموز الهوية. (وقد ينطبق ذلك على ما قاله الشهيد ابراهيم الراعي وهو في زنازين الاحتلال " لن يميتوني، سابقي حيا"(فراونه 2004)، وفي الاساطير يبقى الابطال احياء، وفي النضال الفلسطيني ايضا يصح الشهداء الرمز المقدس والمؤسطر وتروى الحكايا التي ليس بالضرورة دقيقة في تفاصيلها عن الشهيد بقدر ما تهدف لرسم الهالة البطولية له (الصفحة الالكترونية الجبهة الشعبية)، فيما يردد الشاعر الفلسطيني محمود درويش " سأكون يوما ما اريد".

والحقيقة ان عملية أسطرة وتقديس تلف كل ما يتعلق بالوطنية الفلسطينية بات معلماً بارزاً من معالم الهوية ذاتها. ليس غريباً مثلا ان تختزن الذاكرة وتتناقل الأجيال ذلك الكم الكبير من الحكايا والتفاصيل المؤسطرة عن الفعل الوطني الفلسطيني منذ شرع الشعب الفلسطيني بالنضال ضد المشروع الصهيوني من جهة والإمبريالية البريطانية من جهة ثانية. وبالمجمل ان مطلع القرن العشرين وتصاعد دور الامبريالية العالمية وما توجته من انتصارات وفرض قوة استعمارية على العالم الثالث قد احدثت الفرق في الهوية الوطنية ودور حركات التحرر الوطنية والتي جندت نفسها لمحاربة الاستعمار بهدف انتصار التحرر الوطني والاجتماعي، وتحولت هذه الحركات الى

رأس الحربة والقوة الرئيسية للتحرر. فشكلت النزعة القومية ضد الغرب الاستعماري، فيما Hصبح استحضار التاريخ، الرموز وعبر البنى الثورية، اي حركة التحرر اداة اساسية ومعّرف اساسي للهوية الوطنية في شرط الصراع والنضال في ظل الاستعمار(Hobsbawm 1991).

فلسطين والفلسطينيون لم تكن بمعزل عن هذه التحول والتحليل الذي يصوره هابسباوم في كتابه الامم والنزعة القومية. حيث شكل التاريخ، اللغة والارض المشتركة وكل الرموز الاخرى من الكوفيه الى الثقافة الريفية والأرض الى الأناشيد إلى شخصية الحج أمين الحسيني، الى استحضار ارواح شهداء عكا، الى منظمة التحرير الفلسطينية لاحقاً هي ادوات وتعبيرات للهوية الوطنية المقاومة في وجه الاستعمار الاستيطاني الصهيوني.

في الهوية الوطنية الفلسطينية:

هذا الجزء لا يسعى لمناقشة وجهات النظر المختلفة حول اللحظة التاريخية لتشكل وتبلور الهوية الوطنية الفلسطينية إلا بالقدر الذي يفيد دراستنا، ويسعى لتأكيد ان مختلف الجدل القائم حول هذه الهوية، بغض النظر عن لحظة تشكلها التاريخية، قد تعززت عبر الصراع مع المشروع الصهيوني وتالياً عبر النضال الوطني الفلسطيني من اجل الحرية، اي ان الصراع كان وسيبقى محركا هاماً لتعزيز الهوية الوطنية وتعمق بلورتها، أي قد يختلف الباحثون حول لحظة النشأة ولكن لا يختلفون على ما خلفه الصراع مع المشروع الصهيوني من نتائج لبلورة هوية وطنية فلسطينية واضحه المعالم في مواجهة المشروع الصهيوني مع بداية القرن العشرين، وخاصة بعد الحرب العالمية الاولى وتقسيمات سايس بيكو .

في محاولة لرصد تطور وتبلور الهوية الوطنية الفلسطينية وعلاقتها بالصراع مع المشروع الصهيوني نرى ان الروايات تتعدد حول اللحظة التي يمكن اعتبارها لحظة النشوء. في كتاب رشيد الخالدي الهوية الفلسطينية(Khalidi 1997) ، تقوم الفرضية الاساسية لدى الخالدي على ان الهوية الوطنية قامت بالأساس ما قبل المشروع الصهيوني وذلك بعلاقتها اولا بالحكم العثماني وسياسة التتريك، وثانيا في علاقتها بتبلور الهويات المحلية وتشكل القدس محور الجدل المركزي لدى الخالدي كمكان يلخص نشوء الهوية في علاقة الصراع مع الاخر، ولكن ليس الاخر كما يعرف الان[2]. ان التحولات والتراكمات للهوية القومية الفلسطينية في مواجهة التهديد الخارجي اخذت مدياتها وتبلورها مع بداية العشرين مع اكتمال بعض الشروط للتشكل في القرن العشرين أي مع انتشار الصحافة، الرواية التاريخية، الاتصالات الحديثة، انتشار التعليم، والنشاط السياسي(Khalidi 1997). يمكن هنا ملاحظة تأثر الخالدي بما اشار له هوبسباوم وايضا اندرسون، حيث تشكل الكتابة الطباعية والاتصالات الحديثة شرط تاريخي للتطور الهوية الوطنية.

النقطة الجوهرية لدى الخالدي ليس فقط في الشروط الانفة الذكر ولكن المفصل الجوهري في جدلية الخالدي ان هذه الهوية الوطنية كما نعرفها اليوم لم تأت فقط في علاقتها بالصراع مع المشروع الصهيوني في فلسطين، ولكن لها ارهاصاتها التاريخية، وقد يلتقي هنا مع زكريا محمد(2005) الذي بدروه يعتقد ان فلسطين كإسم وكهوية خاصة بالفلسطينيين نشأت قبل الصراع مع المشروع الصهيوني بزمن طويل، وهو يعود أبعد بكثير من الخالدي، أي ابعد من انتفاضة

[2] مصطلح الاخر تبلور بقوة واصبح متداولا بشده في تعبيره عن الاحتلال الصهيوني ما بعد اوسلو هكذا اصبح يعرف لدى المؤسسة الرسمية الاعلامية والسياسية للسلطة الناشئة عن اوسلو.

القدس في العام 1701، الى القرن الخامس قبل الميلاد حيث هيرودوتس حدد "هذا الاقليم بحدوده المعروفة تقريبا اليوم وسماها فلسطين"(محمد 2005). ويسترسل محمد في ادعائه عبر استحضار النصوص القديمة وهي محور اهتمامه ليشير الى البعد التاريخي القديم للهوية، وانه ورغم اختلاط الهويات الاخرى المحلية والدينية والعربية والقبلية الا ان الهوية الفلسطينية هي ما ميزت الفلسطيني بالأساس، ليخلص الى استنتاج نهائي في ادعائه حول الهوية ان الهوية الفلسطينية موجوده وكانت تظهر بلحظة الصراع التي تهدد الوجود أي الاحتكاك والمواجهة على حسب تعبيره وليؤكد على ان "هذه الهوية هي جذر الهوية الفلسطينية الحديثة كما نعتقد فالهوية التي اخذت تنبثق في اواسط القرن التاسع عشر او قبلها، هي مجرد تحديث للهوية الكلاسيكية القديمة وتعميق لها"(محمد 2005: 151).

وبنفس روحية الخالدي ومحمد وعلى خطى اندرسون وهبسباوم هناك مَنْ يعتقد ان الهوية الوطنية وتبلورها كشعور جمعي لم يكن ميكانيكياً، وانما هي عملية تبلور ومخاض طويل تتداخل فيه العوامل والعناصر الى مرحلة النضج (الرفيدي 2009) ، ويعتبر الرفيدي (2009) ان تلك اللحظة كانت تراكماتها قد ازفت مع بداية القرن العشرين وهو بالنسبة اليه الزمن السياسي الذي شكل المخاض ليمتد الى النكبة في العام 1948 وما بعدها. فيما تشكل حقبة وسياسات الانتداب البريطاني والتطور الاقتصادي وبروز المدينة وما لحقة من تطور اقتصادي اجتماعي وجد تجلياته عبر المؤسسات المختلفة من احزاب ونقابات وجمعيات، والصحافة والاعلام، كل ذلك جاء تعبيراً عن عن الهوية. وكأننا من جديد امام نفس تلك العناصر التي شكلت المجتمع المتخيل لأندرسون وشكلت عوامل مركزية لهبسباوم في الهوية الوطنية.

بالمقابل يرى البعض ان الهوية نشأت كظاهرة قومية ثم اخذت بالتطور كرد على الصدمة التي تلقتها بفعل الاحتلال الصهيوني وفقدان الارض والتشريد(محمد 2005)، وان هذه الهوية اخذت بالتجذر عبر الصراع مع المشروع الاستيطاني الصهيوني، والذي كانت المقاومة المسلحة عنوانه الابرز، منذ اعدام فؤاد حجازي ورفاقه 1929، مرورا بثورة القسام وثورة 1936، إلى ان تشكل الاطار المقاوم عبر منظمة التحرير الفلسطينية كعنوان تنظيمي جامع للمقاومة، والأهم ككيان سياسي يضع سياسات هوياتية أولها على الإطلاق الميثاق القومي 1964 والوطني 1968.

يرى كناعنه مثلاً ان الهوية هي ليست فقط قائمة على مجموعة الرموز الجامعة بلا تتعدى ذلك الى حالة الوعي بالهوية عند افراد الجماعة، أي وعي "بجوهر او روح تلك الرموز"، وبهذا المعنى فإن هذا الجوهر يصبح هو ما يميز هذه الجماعة عن تلك، وما يجمع بينها ويعترف به افراد الجماعة والاخرين وانّ هذا الوعي هو ممتد عبر الزمان والمكان وتغير الظروف(كناعنة 2005). وهنا يمكن ايجاد مقاربة ما بين ما يقوله كناعنة وما تناولناه للحصري آنفاً حول الاعتقاد بالأصل المشترك.

وهذا الزمان والمكان يمتد ويترافق مع تنامي خطر الوجود الاستعماري في فلسطين ونجاحاته، حيث بدأ الوعي بالهوية الوطنية الفلسطينية وبلور نفسه بقوة مع النضال الذي خاضه الفلسطيني في زمن الاستعمار البريطاني وتصاعد المد الاستيطاني الصهيوني لفلسطين، الا ان التشكل الفعلي كما يشير شريف كناعنه وآخرون قد أكد ملامحه مع الاحتلال الصهيوني لفلسطين وتصاعد الوعي بالقومية العربية والنضال ضد الاحتلال الصهيوني، حيث اتم اكتماله مع احتلال كل فلسطين في العام 1967.

ويشير كناعنه أيضاً، كأنثروبولوجي، ان هذه الهوية يعبر عنها عبر الرموز المختلفة والجامعة، شأن كل شعب يبلور هويته، وهي رموز استنبطها الشعب من الحياة اليومية ومن التجربة المشتركة، ومن أبسط الأشياء إلى أعقدها، فتغدو الكوفية رمزا، والثوب الفلسطيني رمزا، كذا بعض أنواع الطعام والاكلات الشعبية رمزا، فيما اللغة تتصدر المشهد كله لتصبح التعبير الثقافي للهوية الوطنية، فيما التعبير السياسي يطال النضال الفلسطيني وأبطال المقاومة ورموز الاستشهاد والاعتقال والتاريخ الفلسطيني، الحقيقي والمؤسطر معاً، والنكبة، هي من أهم الرموز التي تشكل الهوية بل وتشحذها بالروح والعمق والتواصل والاستمرارية، ليكون العنوان الجامع لكل هذه الرموز ان الفلسطينيين ينظرون لنفسهم كشعب واحد ذو تاريخ مشترك في تناقض مع المشروع الصهيوني ولصيق بالتاريخ والقومية العربية، وبالتالي لنا طموحات وامال قومية ووطنية لا بد من تحقيقها، ويغدو الفرد أيضاً جزءاً من هذه الهوية ويعتز بها ويفتخر بانتمائه اليها، ويعمل على الحفاظ عليها، فيصبح النضال والمقاومة هي اداة لتعزيز الهوية وبنفس الوقت جزء لا يتجزأ منها. ووفق هذا الفهم فإننا في تماس مباشر مع الجهد الثقافي والوطني الذي بُذل ولا زال في الأسر ويصب كما سنرى في تعزيز الهوية الوطنية للمعتقلين.

وفي استعراضه لما كتب عن الهوية الوطنية يشير احمد عزم(2011) إلى مدخل اندرسون حول المجتمعات المتخيلة فيؤكد على ان ليس المقصود ان المجتمع هو خيالي أي غير موجود وانما كيف نتخيل انفسنا، وفي محاولته لهذا التخيل يبحث عن الرموز الجامعة كأداة محددة للهوية ومعرفة لها، وليستعرض مجمل التخيلات حول الهوية الوطنية الفلسطينية لدى عدة باحثين في الموضوع والرموز المحددة للهوية فيقتبس عن (Khalili في عزم 2011) بأن الرموز التي

اضحت معالم بارزة في الهوية الوطنية الفلسطينية هي النكبة، الانتفاضة، قبة الصخرة، مجازر صبرا وشاتيلا، الكوفية، صور الشهداء، كما تصبح روايات كنفاني ايضا جزء من هذا التأصيل لرموز الهوية حسب عزم(2011) بما خلقت من احداث تعبر عن المأساة الجمعية للشعب الفلسطيني ومحالات البحث عن الخلاص الجماعي عبر الصراع مع العدو. لكن الاهم في فكرة الرموز بالنسبة له ان الفكرة متحركة وليست ثابته أي مع احداث التاريخ قد تتقدم رموز وتتراجع اخرى، ولكن لا هوية بلا رموز! ويمكن هنا ان نرى كيف ان الرموز تكرر نفسها لدى الباحثين، فالنكبة، الكوفية، النضال..الخ هي رموز تتكرر لديهم ما يعزز ويؤكد على هذه الهوية الوطنية المتبلورة والواضحة المعالم برموزها المشتركة. فعندما نتحدث عن النبكة فإننا نؤرخ للحظة الذروة في تصاعد الصراع منذ بداية القرن العشرين مع قوى الاستعمار او كما يسميه اندرسون الصراع او الكره "للأخر"(عزم 2011). وهي لحظة احتلال الجزء الاول من فلسطين في العام 1948 من قبل العصابات الصهوينية وتأسيس الكيان الصهيوني على هذا الجزء من فلسطين.

الذي اسس للتصاعد في حدة تبلور، إن لم يكن مخاض حسب تعبير الرفيدي(2009) سابقا، الهوية الوطنية، وبداية سلسلة طويلة من تراكم الرموز والدلالات المعززة للهوية الوطنية، هو انطلاق المقاومة المسلحة المعاصرة إحدى أبرز رموز الهوية. ولاحقا، مع احتلال ما تبقى من فلسطين في العام 1967، يغدو الاسرى والحركة الاسيرة الفلسطينية، من هذه الرموز أيضاً، والتي بلورت هويتها كحركة اسيرة ليس بمعزل عن، ولكن بالتحايث، مع النضال وحركة المقاومة الفلسطينية والاعتراف بالمنظمة لاحقا في 1973 كممثل وحيد وشرعي للشعب الفلسطيني، باعتبارها غدت الكيان السياسي المجسد، مع ميثاقها الوطني، ابرز مقومات الهوية.

ويرى الاسير المحرر عدنان جابر، وفي معرض تسجيله لتجربة الاعتقال بعد تحرره من الاسر ان العلاقة وثيقة بين النضال الوطني والنضال داخل السجون، وان معركة الصمود في التحقيق هي انتصار للقضية الوطنية، ويظهر ذلك من خلال رؤيته لمفهوم "العرض والارض" والية الرد على المحققين فيما يتعلق بها:

" ان تحليل مسألة "العرض والارض" وسبر غورها يجعلنا امام قضيتين : العرض: يعني المرأة، يعني الذات، يعني الخاص، والارض تعني: الوطن، القضية الاكبر، العام، وعدونا يبغي من وراء تهديده بالاعتداء على العرض الى اجبارنا على التخلي عن القضية الاكبر وهي الوطن والشعب والثورة في سبيل المحافظة على شيء خاص وضيق يقع ضمن الاسرة وضمن ذات محدودة. ولكن هل واقع الحال هو ما يعرضه العدو؟ كلا، فحينما يهاجمك العدو، حينما يحتل وطنك، حينما يعتقلك ويضعك في السجن وحينما يبدأ التحقيق معك فإنك تجابه امرين وخيارين: ان تهتم بجلدك فقط، بمصلحتك الشخصية فقط، بأسرتك فقط، او ان تقف الموقف الوطني والثوري، ان تهتم بالشعب، الوطن القضية والثورة "(جابر : 1979: 95).

هذا الاستشهاد الطويل لجابر يؤكد على محورية رموز النضال/ الهوية لدى الاسير الفلسطيني، وهي هوية جمعية تظهر بقوة في مواجهة الهوية الفردية التي تحاول ادارة السجون فضها.

ان تأكيد الهوية الوطنية لدى الاسرى الفلسطينيين هي عملية مستمرة منذ اللحظة الاولى لعملية الاعتقال، وهي ليست قاصرة فقط على المواجهة في التحقيق ولكن في المحكمة ايضا، حيث يستخدم الاسرى المحكمة كفرصة لتصدير موقفهم من الاحتلال كاحتلال عنصري صهيوني ارتكب المجازر بحق الشعب واغتصب الوطن، واخيرا يؤكدون على حقهم في النضال ضد الاحتلال والمقاومة لتحرير الوطن، واخيرا المطالبة بالاعتراف فيهم كأسرى حرب (جابر، 1979).

حول مجتمع الاسرى والسجون- استعراض ادبيات:

لم يكن عالم الأسرى الفلسطينيين بمعزل عن هذه الهوية الوطنية والنضال الوطني، وقد شكلت تحركات ونضالات الحركة الاسيرة في السجون وخاصة الإضرابات عن الطعام قوة دافعة لتحركات جماهيرية تبدأ تضامنا مع الاسرى لتنتهي في مواجهات مع جيش الاحتلال من مظاهرات واضرابات هكذا هو الحال في اضراب نفحة في العام 1981، وفي اضراب الاسرى 1987، و1992.. وان استشهاد أي اسير فلسطيني في التحقيق او في السجن، كانت كفيلة باندلاع المواجهات. اما الاسر كحياة نضالية فكانت محض التقدير والاعجاب والاحترام، فاكثر التعبيرات المتداولة عن السجن هي " مدرسة تخريج المناضلين"، بما فيه من حقيقة واقعية وأيضاً تقديس يناسب هوية الحركة الأسيرة ذاتها!، وقد حظي الاسير بمكانه مميزة لدى الفلسطينيين كمناضل خاض تجربة الاعتقال. وان كانت الهوية الوطنية هي التعبيرات والرموز المختلفة، فإن الاسرى الفلسطينيين كانوا من أبرز الرموز والدلالات المركزية للهوية الوطنية وللذاكرة الجمعية الفلسطينييه.

تشكل الادبيات حول واقع الحركة الأسيرة الفلسطينية حيزاً صغيراً بالنسبة للدراسات المنشورة حول الحركة الوطنية الفلسطينية بشكل عام، مع ان الحركة الاسيرة وعلى مدى عمر الاحتلال شكلت جزء اساسي من الحياة الوطنية للمقاومة الفلسطينية، واليوم هي احد العناوين النضالية البارزة لمرحلة ما بعد اوسلو. وتستعرض الادبيات المنشورة في معظمها بطريقة نثرية ادبية او توثيقية للشهداء، لإضرابات الطعام، للكتابة والادب في السجون، او لمرحلة التحقيق واساليب التحقيق من قبل المخابرات ضد المعتقلين الفلسطينيين، او ضمن تقارير صادرة عن مؤسسات

حقوق انسان وتعنى في قضايا المعتقلين، وهي بالعادة تتناول الانتهاكات والظروف اللاانسانية التي يتعرض لها الاسرى في السجون، او تتناول قضايا حقوقية قانونية، دون التطرق للحياة الداخلية للمعتقلين او البناء التنظيمي الوطني [3].

دراسة يمكن الوقوف عندها وهي الواقع التنظيمي للحركة الفلسطينية الاسيرة من 1988-2004 لإياد الرياحي (2007) وهي دراسة تنطلق من تغير الظروف وواقع الحركة الاسيرة بعد اوسلو، وبالتالي استعراض الظروف الداخلية للأسرى، وهي تقع في دائرة الافتراض ان الاسرى اصبحوا اكثر تحررا من واقع التعصب التنظيمي. هذه الدراسة ولأنها تتناول الواقع التنظيمي فهي في الصلب من بحثنا كما سيأتي، مع أنها خلت من الكثير من القضايا حول كيفية تشكل البنية التنظيمية وسنوات البناء الطويل منذ العام 1967 وركزت اكثر على ما هو قائم بعد اوسلو.

واما حول الديمقراطية والبنية التنظيمية للأسرى فتأتي دراسة خالد الهندي وتحاول الدخول اكثر للحياة التنظيمية للحركة الاسيرة كبنية ديمقراطية مستعينا بالديمقراطية في شكلها الاجرائي ومعددا لهذه الاجراءات من انتخابات تنظيمية، وسلطة قضائية، وتداول سلطة وفصل بين السلطات (الهندي 2000) في استعارة تكاد تكون شكلية ومقولبة للفهم الليبرالي للديموقراطية بحيث كأننا أمام مشروع دال ومعاييره المختلفة للديمقراطية، ورغم اعتقادي ان البنية الداخلية للحركة الاسيرة هي بنية ديمقراطية الا انني اعتقد انها اعقد من القالب الليبرالي الجاهز ولها معاييرها المختلفة وظروفها الناشئة في خضم الصراع والمواجهة اليومية للحركة الاسيرة كممثل لحركة المقاومة الفلسطينية، وادارة السجون ممثلة للاحتلال .

[3] لمزيد من المعلومات حول هذه الدراسات، يمكن العودة لدراسات صادرة عن مؤسسات حقوق الانسان مؤسسة الضمير، مانديلا، نادي الاسير- وللصفحة الالكترونية فلسطين خلف القضبان www.palestinebehindbars.org .

اما الاشكالية الثانية في دراسة الهندي باعتقادنا فهي تكمن في نطاقها الزمني حيث ينتقل الكاتب من احداث متأخرة ليسقطها بتحليله على الفترة الاولى من تاريخ الحركة الاسيرة، وهذه تحديدا لها علاقة في الاشكالية الثالثة وهي كيفية قراءة الحدث حيث يوضح الكاتب منذ بداية الدراسة انه سيدرس الحركة الاسيرة ويركز على نشأة الجماعية الاسلامية (الهندي 2000: 17)، ويبدو هنا ان الكاتب من الاساس قد استثنى الحركة الاسلامية من الحركة الاسيرة وجعلها شيء قائم في ذاته، ولاحقا نجد خلط في الدور المعطى للجماعة الاسلامية، فهي بالكاد كانت موجوده منذ البدايات، اما الدور الاساسي والمركزي لها تبلور ما بعد الانتفاضة الفلسطينية الاولى مع نشوء وتزايد حضور حركة المقاومة الاسلامية حماس، فيما البدايات كانت لجيش التحرير الفلسطيني وفصائل منظمة التحرير الفلسطينية وتحديدا حركة التحرر الوطني الفلسطيني "فتح" والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين(جابر 1979)، إضافة الى ان استخدامه الجماعة الاسلامية كأمثلة واستعراض احداث تفوق كثيرا مجموع التنظيمات الاخرى مجتمعة أي فصائل منظمة التحرير الفلسطينية. وفي استعراض لقائمة الادبيات والوثائق التنظيمية نرى ان الأغلبية الساحقة منها تعود لمرحلة ما بعد العام 1990 وهذا يعزز ما ذهبت اليه سابقا من اسقاط احداث وتقييمات حديثة على وقائع قديمة.

أخيرا فإن الدراسة الأخرى التي تقترب من دراسة الواقع الداخلي للسجون وهي حديثة نسبيا هي لإسماعيل الناشف(2008) ولكن وان كان الناشف يحاول في دراسته تتبع اصل الصراع الذي قاد للنضال الوطني والسجون وذلك في الفصل الثاني من الدراسة إلا انه في نفس الوقت يعلن عن دراسته "كتاريخ اجتماعي لمجتمع الأسرى في السجون من خلال كتاباتهم الأدبية" (Nashif

2008, 37) مركزا اساسا على البناء الاجتماعي في علاقته مع الهيمنة والسيطرة من ادارة السجون، ومحاولة التغلب عليها حيث يصيغ الاسرى مفاهيمهم الخاصة لتحدي هيمنة ادارة السجون. اذن نحن هنا أمام دراسة شيقة وقوية تستند لكتابات الاسرى انفسهم، ولكن تتركز حول علاقات الهيمنة والسيطرة اكثر منها طبيعة البنية الداخلية التي تقود وتقوم بعملية المواجهة لإدارة السجون. ولكن بالنسبة لدراستنا هذه لها اهمية من قبيل تفسير اليات الهيمنة من الناحية المنهجية والفعلية.

ورغم ذلك فإن مجمل الدراسات حول الاسرى، وثقت بشكل اساسي من الاسرى انفسهم(عدنان جابر، جبريل الرجوب، وليد الهودلي، عايشة عوده..) وكثيرون كتبوا عن التجربة سواء على شكل كتب او مقالات، واليوم نجد العشرات من المواقع الالكترونية التي انشأها الاسرى المحررون لمتابعة اوضاع الاسرى في السجون، ولتسجيل التجربة منها موقع "فلسطين خلف القضبان www.palestinebehindbars.ps " وهو الاكثر شعبيه وتداولا واقتباسا لكل ما يتعلق بالأسرى، وقد انشاها الأسير محرر عبد الناصر فروانه، ووالده من قبله اسير وكذلك اخوته ومنهم ايضا الشهيد.

وفي استعراض سريع لمجمل ما كتب حول التجربة الاعتقالية والسجون يمكن ملاحظة ان معظم ما كتب سواء عن التجربة او عن تجربة الكاتب لها فقد وثق الحياة الاعتقالية وظرف الاعتقال وركزت بالأساس على عملية النضال ضد ادارة السجون وممارساتها فاحتلت الخطوات والاجراءات النضالية خاصة الاضراب مكان عالي من التوثيق، وكل هذا يفيدنا في بحثنا هذا

باعتبار ما تتناوله تلك الأدبيات يشكل القاعدة الاساس لمقومات تعزيز الهوية لدى الأسرى الفلسطينيين. في هذا الاطار يمكن استعراض نماذج مختلفة من الكتابة.

في موضع الدراسة هناك اربعة دراسات جديرة بالملاحظة أكثر منه التقييم الاولى، الأولى ملحمة القيد والحرية : عالم أسرى المقاومة الفلسطينية (جابر 1979) والدراسة قديمة ومن هنا اهميتها حيث تستعرض السنوات العشر الاولى من عمر سجون الاحتلال وواقع الاسرى والبدايات التي مهدت لصياغة بينة تنظيمية قوية، والأهمية الاخرى للدراسة انها صادرة عن اسير هو نفسه كان جزءا من التجربة بل كان في موقع المسؤولية منها[4]. والثانية من القمع الى التحرير(ابو بكر 1989)، هي ايضا صادرة عن اسير سابق، يبدو هذا الكتاب وكأنه استكمالا لكتاب جابر حيث يستعرض بالتفاصيل اكثر الحياة الداخلية للأسرى مركزا على بنية "فتح" التنظيم الذي ينتمي اليه، ولكن ما يستوقفنا في الكتاب انه ورغم انه كتب في العام 1989 اي قبل موجة الحديث عن البنية التنظيمية خارج وداخل السجن نراه يفرد لها صفحات عديدة ويراها "مرتبطة بالتثقيف الثوري على اسس الفلسفة الوطنية الواردة في الميثاق وترتبط في الواقع وتخدمه" (ابو بكر 1989: 158). اما الدراسة الثالثة فهي دراسة حاتم الشنار(2010) بعنوان "خمس نجوم تحت الصفر" وفيها يستعرض الاسر كبنية من الداخل وفي علاقتها مع ادارة السجون الاسرائيلية، وتحليل اليات المقاومة والمواجه معها عبر استعراض اهم السمات والقضايا التي تخص الحركة الاسيرة. واخيرا الرابعة وهي بعنوان "السجن ليس لنا"(1985) هذا الكتاب لا يحمل عنوان لمؤلف لأنه كتب عبر تجربة جماعية في الاسر لمجموعة من الاسرى اللذين عايشوا السجون منذ الحظة

[4] عدنان جابر اعتقل في بداية الاحتلال وامضر سنوات طويلة وتم تحريره بعملية تبادل الاسرى، وكان يحتل موقع ممثل معتقل للأسرى خاصة في سجن بئر السبع.

الاولى للاحتلال في العام 1967، وحتى العام 1985 حيث تم تحريرهم في صفقة تبادل الاسرى الشهيرة عملية النورس والتي قادتها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة. وهو كتاب شامل ومفصل عن الحركة الوطنية الاسيرة من تركيبتها، وتنظيمها الداخلي، والتثقيف، والمواجهة مع ادارة السجون، واليات التعبئة، وتعريفها ورؤيتها لذاتها كحركة اسيرة، والدور المناط عليها.

ففي باب توثيق ادب السجون، باعتباره يغدو رويدا رويداً رمزا من رموز الحركة الأسيرة تحت عنوان الأدب الاعتقالي، نرى العديد من الكتابات منها مثلا روايات الاسير المحرر عصمت منصور وهي روايات كتبها في الاسر ومنها رواية "السلك" وهي خليط من ذاكرته قبل الاعتقال وما بعده(منصور2012). اما محمود الغرباوي فقد اشتهر بالشعر وهي تقع في الباب الثقافي للمقاومة وقد وثّق فيها حياة الاسرى من جانب، ولكن ايضا تفاعل الاسرى مع الاحداث خارج السجن على الجانب الاخر. وعلى الجانب الاخر الثقافي فإن بعض الاسرى وثّق الحياة الثقافية من خلال ما كتب داخل الاسر في المجلات المختلفة التي تصدر عن منظمات الاسر في السجون، وما يميز هذه الكتب انها تستعرض الفترة الزمينة التي تعالجها هذه الدراسة، أي من العام 1967 الى بداية التسعينيات، وهي كتابات شخصية للأسرى انفسهم، ونذكر منها اوراق محررة لمحمد القاق(1993) وفيها يوثق سلسلة من المقالات نشرت في الثمانينات من القرن الماضي في نشرة "نفحة الثورة" وهي النشرة الرسمية لسجن نفحة الذي تم افتتاحه في العام 1980، وهي مقالات تتوزع بين الادبي والسياسي والتنظيمي وحتى رسائل القراء والاجابة عليها، وفيها يمكن تلمس نوع الحياة الثقافية التي يعيشها الاسرى، وهذه في الصلب من اهتمام الدراسة، والتي تربط بين آلية التكيف مع الاسر ومعالجة الاشكالات الناتجه عنها، وايضا قضايا المقاومة والوضع

الفلسطيني وفي حينه احتل الخروج من لبنان وحرب المخيمات وحصارها مساحة واسعة من ذلك، فيما الادب انصب على توثيق القضايا ذات العلاقة مثل الاعتقال والصمود في التحقيق. ويمكن الوقوف في هذا الباب الثقافي على اسهام الاسير سلمان جاد الله والذي كان من المؤسسين وعضو هيئات تحرير نشرات اعتقاليه مثل نشرة "صمود" في سجن عسقلان و"صدى نفحة" في سجن نفحة(جاد الله 2000)، والكتاب عبارة عن توثيق للكثير من المواد التثقيفية التي نشرت في نشرات السجون والتي مرة اخرى تعكس مجمل الواقع التثقيفي الذي انطلق من مجمل فهم الاسرى لواقع الاعتقال كساحة اخرى نضالية مرتبطة بالصراع مع الاحتلال، وهذا ايضا يصب في اهتمام دراستنا.

اما المجموعة الثانية التي يمكن تصنيفها هنا فهي عبارة عن سير شخصية ممزوجة بوصف واقع الاسر وتفاصيل التجربة الشخصية والظروف المحيطة بها والتي سنتحدث عنها لاحقا في الفصول ولكن حسبنا هنا التذكير بسيرة فاضل يونس بعنوان من وحي التجربة الاعتقالية(يونس 2008) وهي تؤرخ لتجربة طويلة للكاتب الاسير منذ بداية السبعينات وعلى مدى اكثر من خمسة عشر عاما، وسيرة حافظ ابو عباية ومحمد البيروتي بعنوان نصب تذكاري(ابو عباية والبيروتي 2013) وهي توثيق لمجموعة مناضلين استشهدوا في الاسر خلال التحقيق او جولات الاضراب عن الطعام او الاهمال الطبي المتعمد داخل الاسر او استشهدوا خارجه.

اما الاشكالية العامة والنقد المركزي لكافة الدراسات التي تناولت واقع الحركة الاسيرة فهي (اتفاقها) على إغفال موضوعة الاسيرات والتعامل معهن كما لو كن غير موجودات! وان ذكرن فمن باب تعداد الشيء لا من باب ان الاسيرة ايضا جزء من الحركة الأسيرة الفلسطينية، ولها من

الظروف والاشكالات ما يجب وضعها في دائرة الدراسة والتقييم في كافة المجالات بدءا من رحلة الاعتقال والتحقيق، مرورا بحياة الاعتقال واشكال المواجهة والتنظيم وانتهاءً بالتحرر والدور الذي تلعبه بعد ذلك كأسيرة محررة مقابل الدور الذي يلعبه الاسرى.

ولكن اخيرا، يمكن ان نرى كتابي عائشة عودة احلام بالحرية(2007) وفيه تستعرض تجربتها منذ لحظة الاعتقال في العام 1969 والتحقيق الى لحظة الانتقال للسجن المركزي وفي الثاني ثمنا للشمس(2012) تستعرض تجربتها والاسيرات الفلسطينيات في سجن الرمله مع تداعيات الذاكرة ما قبل الاعتقال، وفيه تؤكد عودة على مكانها كأسيرة وكجزء من حركة التحرر الوطني والنضال وهي هويتها التي تعتز بها في مواجهة المحتل. إن كل هذه الدراسات ولأنها تتناول البنية التنظيمية وآليات التثقيف والحياة الداخلية والمواجهة مع الإدارة فهي في الصلب من دراستنا لأنها، هذه الموضوعات، نعتقدها روافع تعزيز الهوية في الأسر.

ستحاول هذه الدراسة من خلال الادبيات اعلاه، تجاوز الوصف لحياة الاعتقال والتفاصيل المختلفة لنضال الأسرى، وهو تحليل يتجاوز الخطاب الاعلامي لبطولة الحركة الاسيرة، نحو رؤية الأسرى كذوات فعالة في تعزيز الهوية الفلسطينية ، وهو تحليل بالعمق لعلاقة الأسرى كجزء من بنية المقاومة والهوية الوطنية والربط لجهة العلاقة بين جملة الممارسات لإدارة السجون كممارسات احتلالية تهدف لقتل الروح الوطنية الجمعية وتعزيز الفردية والانهزامية، بالمقابل الدور الذي لعبته الحركة الوطنية الاسيرة في سجون الاحتلال لتعزيز الهوية الوطنية ومقومات المقاومة والصمود ليس على نطاق الأسر فحسب ولكن على النطاق الأوسع خارج الأسر، من خلال الفهم للأهداف المعلنة وغير المعلنة لإدارة السجون والتي عالجتها وواجهتا

الحركة الاسيرة من موقع الصراع الوطني/القومي مع الاحتلال وليس الاستهداف الفردي البحث، وهي إذ تقاوم هذا الاستهداف انما بأدوات واليات هي من صلب رموز ودلالات الهوية الوطنية الفلسطينية الجامعة والرموز الوطنية الجمعية. وهي ادوات تناسب الحالة الاعتقالية ولكن تساهم في تركيم ثقل ومضامين الهوية الوطنية في المجال الاوسع النضال الوطني في كافة مواقعه..

في اشكالية (سؤال البحث):

تتمحور إشكالية البحث في الوقوف على ميكانيزمات البنية التنظيمة الأسيرة والحياة الثقافية في المعتقل والمواجهة مع إدارة المعتقل، في علاقة هذه الميكانيزمات الثلاث مع موضوعة تعزيز الهوية الوطنية داخل المعتقل ولدى جموع الأسرى.

ولما كانت الهوية هي صياغة رؤية الذات تجاه الاخر، فإن الصراع مع إدارة المعتقل، والمستند للبنية التنظيمة وآليات التثقيف، يخلق حالة من النضال نحو تأكيد الذات وبالتالي تأكيد للهوية، والذات هي الذات الجمعية للحركة الاسيرة. وبالتأكيد فإن تناول موضوعات التثقيف، من زاوية علاقتها بالهوية، ستعني بالضرورة الوقوف على مفردات/ رموز التعبئة السياسية/ العقائدية، سواء المؤسطرة او الحقيقية، والتي تلعب دورا بارزا في بناء رؤية اعتقالية وطنية هي بلا شك جزء من الرؤية الوطنية ككل وبالتالي الهوية الوطنية.

وعليه تفترض هذه الاشكالية، وضمن مفهومنا اعلاه لتشكل الهوية الوطنية، وجود عناصر وادوات محددة ومركزية فاعلة تعمل على صياغة الهوية والتعبير عنها كجزء من الهوية الوطنية الجمعية، يمكننا هنا تفنيدها كالتالي:

1 – صياغة رؤية ثقافية للذات مقابل الآخر: وهنا يمكن تتبع رموز أساسية: تاريخ فلسطين، علاقتنا بالنكبة، 67 /والمقاومة، والاعتراف بمنظمة التحرير اعطى دفعة للحركة الاسيرة لبلورة وتنظيمها ذاتها، والارتباط بالعمق العربي، الشهداء ومعاني الاستشهاد. كلها تشكل مضامين وتعريفات للهوية الوطنية.

2 – بناء الادوات التنظيمية، الفرد ، الجماعة، المؤسسة الاعتقالية والتي من خلالها تفعل فعلها في التاريخ وتجسد الرؤية عبر سياسات الهوية وادواتها داخل المعتقل.

3 – الصراع باعتبار لا هوية بلا صراع، وان بروز الهوية كما اسفنا مرتبط تاريخيا بتصاعد الصراع ذات طابع الالغاء بمعنى الوجود الانساني والجمعي.

في المنهجية:

استنادا الى تحديد عناصر الهوية الوطنية، ستكون الدراسة عبارة عن تحليل لهذه العناصر عبر الحياة المباشرة للأسرى الفلسطينيين، والآليات التي من خلالها صاغوا هذه العناصر (الثقافية، التنظيمية، النضالية)، ويشكل ارشيف الاسرى والاسيرات في سجون الاحتلال، المادة الاصيلة والمصادر الاولية لهذه الدراسة، إذ سيتم تحليل نصوص هذا الأرشيف في الفترة التي يغطيها البحث. وهذه المصادر هي عبارة عن الكراسات الثقافية والتنظيمية اضافة الى توثيق الاحداث المختلفة في السجن. وتعد المصادر الاولية، طالما تمكنا من الحصول عليها، احدى اهم الأدوات البحثية التي تساهم في استنتاجات اقرب الى الحدث والواقع المبحوث، فهذه نصوص كتبها وانتجها

الاسرى انفسهم، وبالتالي تعبر بشكل مباشر عن موقفهم ، آرائهم، وتصوير حقيقي لحياتهم في الاعتقال.

ملاحظات منهجية

اولا- حول النصوص الاصلية:

أ. لقد تم الحصول على النصوص الاصلية للأسرى عبر مصدرين :

- نصوص انتجها الاسرى ومنشورة: وثقت الحياة الاعتقالية او التجربة الشخصية للأسير، وهي على الاغلب كتبت بعد تحرر صاحبها من الاسر. وتم نشرها عبر دور نشر وجهات مختلفة، والاستثناء لكتاب "السجن ليس لنا" فقد تم انتاجه بالكامل في سجن نفحة وتم نشره في العام 1985 خارج الاسر، وقد تم توثيقها بقائمة المراجع الخاصة بالدراسة تحت مسمى نصوص انتجها الاسرى ومنشورة.

- نصوص انتجها الاسرى وغير منشورة: وهي في اغلبها نصوص عامة خاصة بالتنظيمات أي بالحركة الاسيرة وليس بالأفراد كما هي حال النصوص المنشورة، وقد تسربت بأغلبيتها من السجون بعد العام 1994، أي بعد توقيع اتفاقية اوسلو وبداية التطبيق الفعلي للاتفاقية على الارض، بعودة قيادة منظمة التحرير وعلى رأسها ياسر عرفات من الخارج، وتسليم غزة واريحا للحكم الاداري الذاتي الفلسطيني، وبموازاة ذلك، تم تحرير جزء من الاسرى واعادة توزيع الاسرى المتواجدين في السجون في مناطق الضفة الغربية الى سجون في مناطق فلسطين المحتلة في العام 1948. وهو ما يطلق عليه الاسرى اصطلاحا "اعادة الانتشار

للأسرى"، وقد قام الاسرى بإخراج مكتبات سجون الضفة الغربية وغزة وارشيف التنظيمات، أي الكراسات، وهي المصدر الاساسي الاولي للدراسة.

وقد تبعثر جزء كبير من الكراسات لأن عملية اخراج هذا التراث المعرفي تمت عبر الاسرى كأفراد ودون تنظيم ومراقبة مسؤولة، وقد تم لاحقا جمع القسم الاكبر من المكتبة والكراسات لسجن جنيد، وهو السجن الاكبر حينذاك في الضفة الغربية في مكتبة نابلس العامة التابعة للبلدية وما زالت حتى اللحظة هناك، ولاحقا قام الباحث والاسير المحرر فهد الحاج بمبادرة تأسيس ارشيف للأسرى وجمع قسم كبير من مقتنيات الاسرى من رسائل شخصية وتنظيمية، كراسات، اعمال فنية، ادبية.. الخ في متحف الشهيد ابو جهاد التابع لجامعة القدس في ابو ديس.

اما فيما يتعلق بأرشيف سجن غزة فقد تبعثر هو الاخر، ومع حالة الفصل الجغرافي والامني بين الضفة وغزة لا يعرف بالضبط اين انتهى، فبعضه موجود لدى الدائرة الثقافية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وهو ما استطعت الحصول عليه بجهود شخصية، وبعضها موجود لدى الاسير المحرر والمختص بشؤون الاسرى عبد الناصر فروانه.

والجزء الاخير من النصوص غير المنشورة والمستخدمة في الدراسة هي من الارشيف الخاص بالباحثة تم إخراجه عندما تحررت من الاسر في العام 1997، ويخص الاسيرات والاسرى على السواء.

ويمكن ايضا اعتبار ما كتبه الاسرى من سير شخصية وتوثيق للحياة الاعتقالية يدخل في باب المصادر الاولية، لأنها كتبت عن الاسر ومن الاسرى انفسهم، حيث تغني بعض الكتب عن

المقابلة مع الاسرى انفسهم، لحجم التفاصيل المدونة وتفسيرات الاحداث والخلفيات التي جرت ضمنها.

هذه الدراسة ستستخدم النصوص الاولية للمصادر المختلفة غزة ومتحف ابو جهاد والباحثة، والاسرى المحررين، وتحديدا تلك التي تغطي النطاق الزمني للبحث.

ب. ان حجم النصوص الموجودة في الارشيف[5] هي هائلة من حيث الكمية سواء النصوص التنظيمية الخاصة، او الوطنية العامة، وهي موزعة على عناوين هائلة: رسائل تنظيمية/وطنية/ عن المؤسسات الوطنية/ سياسية/ عن منظمة التحرير الفلسطينية/ رسائل لإدارة السجون من اللجنة الوطنية العامة/ قضايا خاصة بالسجون/ علاقات وطنية مع تنظيمات واحزاب/ نقابات/ حركات طلابية/ نسوية/ قضايا امنية/ اقتصادية/ تاريخ فلسطين/ قضايا المقاومة/ قضايا عربية ودولية/ ادب سجون قصة، شعر/ رسائل الاسرى الشخصية / مجلات مختلفة .... والعشرات من العناوين والمواضيع الاخرى. ما جعل التعامل معها بسبب غناها مسألة محيرة ومعقدة.

ت. لقد تم حصر النصوص التي تعالج قضايا محددة للعناوين المركزية: التنظيم/الثقافة/ الصراع، وعلاقتها بالهوية الوطنية، رغم أنّ هناك العديد من القضايا ممكن معالجتها لنفس العناوين، الا ان طبيعة البحث لا يتسع لكل هذه القضايا، بل إنّ كل عنوان يمكن ان يكون دراسة بحد ذاته.

[5] المقصود بالأرشيف، هو مجمل ما احتفظ به الاسرى من ادبيات مختلفة وموزعة في امكنة مختلفة كما جاء في هذه الدراسة، ولكن ايضا يمكن اعتبار متحف ابو جهاد لشؤون الحركة الاسيرة في جامعة القدي ابو ديس بمثابة الارشيف الوطني الذي فيه يتم الاحتفاظ بأدبيات واعمال الاسرى وكل ما يتعلق بإنتاجهم، وهي عملية ما زالت مستمرة.

لذا يمكن القول ان ما تم اقتباسه هو للإلقاء الضوء على القضايا المبحوثة وليس تناول وبحث كافة تفاصيلها.

ث. النصوص الغير منشورة هي على الاغلب نصوص كتبت في اواخر السبعينات وما بعد، فيما تفتقد المرحلة الاولى لنصوص اصلية غير منشورة، وقد تم استخدام السير الذاتية ومنشورات الاسرى والمقابلات لتغطية تلك الفترة، في استخدمت النصوص الاحدث لتغطية الفترة اللاحقة، او هي نصوص تتحدث عن المراحل الاولى ونتاج النضال للمرحلة الاولى.

ج. ليس المقصود بالإشارة لمصدر الاقتباس ان كان "فتح"، او الجبهة الشعبية البحث في الاختلاف بين التنظيمان في الرؤى التنظيمية والثقافية والفكرية، فهذا ليس ضمن نطاق البحث، بقدر ما يشكل الاقتباس اهمية بعلاقته بإشكالية البحث ضمن مجتمع البحث الاسرى جميعا.

ثانيا- المقابلات :

يستخدم البحث مقابلات معمقة مع بعض الاسرى الفلسطينيين المحررين والذين عايشوا الفترة الزمنية التي يغطيها البحث وهي مقابلات تأتي لتعمق التحليل المتعلق بالنصوص الاصلية، وسيتم اختيار اسرى ممن ساهموا عبر مواقع قيادية متقدمة في الحركة الاسيرة في تحقيق التحولات الهامة للأسرى الفلسطينيين الى حركة اسيرة وطنية منظمة، وساهموا بصياغة الانظمة الوطنية والتنظيمية الناظمة للأسرى في سجون الاحتلال في السنوات الاولى ولاحقا.

وتكمن الاهمية بالمقابلات لإعطاء صورة وخلفية حية للنصوص، أي كأنما نعطيها منبر للتحدث، او كأنها تقرأ بصوت عال، بمعنى المقابلات ستعمل على رسم الاجواء والاسباب التي تم صياغة هذه النصوص واليات التعامل معها والمنطق ورائها، وهذه تعمل على تعميق التحليل والتأكيد على معانيه ارتباطا بإشكالية البحث.

لذا المقابلات ليست هي الاداة الاساسية بقدر ما هي اداة ضرورية، وعليه تم مقابلة عدد محدود من الاسرى لإضفاء هذا البعد والعمق الذي ذكرناه.

ان اهمية المقابلات المعمقة تنبع من محاولات استكشاف الاجواء والظروف المختلفة التي انتجت النصوص ذات العلاقة، ما الذي ادى لصياغة هكذا نصوص وانظمة ولوائح، كيف وصل هؤلاء الاسرى ما وصلوه من استنتاجات متعلقة بحياتهم الاعتقاليه على المستويين الداخلي بالعلاقة بين الاسرى، وعلى مستوى المواجهة مع ادارة السجون. أي تأتي المقابلات لرسم سياق انساني تاريخي لهذه النصوص. وتم مقابلة أسرى سابقين لعبوا دورا مركزيا في صياغة وبلورة الحركة الوطنية الاسيرة وترتيباتها التنظيمية وقيادتها مجمل النضال والعمل التنظيمي في الاسر وستكون المقابلات مسجلة ومصورة.

ثالثا- مجتمع الدراسة

الحركة الاسيرة هي مجتمع البحث الاساسي وسيتم بحثه عبر التركيز على النصوص والمقابلات لكل من التنظيمين الفلسطينيين، حركة التحرر الوطني الفلسطيني "فتح"، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، اضافة لحصر نطاق البحث وتحديده لضرورات منهجية، فإن الاعتبار المركزي لذلك

ينبع من ان هذان التنظيمان شكلا وعلى مدار نطاق البحث الجسم الاكبر من مجمل الحركة الاسيرة الفلسطينية. مع ضرورة الاشارة ان الفترة الزمينة التي تناقشها الدراسة لم يشهد صعود وتواجد للتيار الاسلامي تحديدا حماس، وانما بدأ يظهر على اطراف نهاية البحث أي في أوائل التسعينيات من القرن الماضي.

رابعا- النطاق الزمني للدراسة:

الدراسة تغطي الفترة الواقعة بين 1967-1992 ، التاريخ الاول هو تاريخ احتلال ما تبقى من فلسطين أي الضفة وقطاع غزة، وفرض الحكم العسكري، واستخدام السجون من الاحتلال كوسيلة رادعة لأية مقاومة فلسطينيين للاحتلال. اما العام 1992، وهو العام الفارق والمفصلي الذي يتوسط مؤتمر مدريد في العام 1991 بين م.ت.ف ودول عربية من جانب وبين الكيان الصهيوني من جانب آخر، والعام 1993 والذي شهد توقيع اتفاقية اوسلو بين م.ت.ف والكيان الصهيوني. بين العامين بدأت ملامح التغيير في بنية وواقع الحركة الاسيرة، تأثرا بالتوجهات والاتفاقيات الموقعة وما اعقبها من اثارة موضوع الافراج عن الاسرى ضمن ملاحق اتفاقية اوسلو، وتحت بند اجراءات بناء الثقة، ما ادخل السجون في حالة حراك وعدم استقرار بسبب الافراجات والاجراءات القادمة، أضف لذلك التغيير على مستوى تركيبة الاسرى التنظيمية ودخول اسرى حركة المقاومة الإسلامية بقوة على هذه التركيبة من حيث الكم والنوع، ما تستدعي دراسة منفصلة ذات اشكالية وتساؤلات بحثية مختلفة وسياق مختلف سياسي وتاريخي وتنظيمي، لا يتسع لها المقام هنا وليست من اهتمام الدراسة.

هذه الفترة (1967–1992) تعد المرحلة الذهبية للحركة الاسيرة والتي بنت عبرها أهم محطات التاريخ النضالي للأسرى الفلسطيني والذي توج في اضراب الاسرى في العام 1992، وحقق انجازات غير مسبوقة للحركة الاسيرة. وكل ذلك سنأتي على ذكرها لاحقا في الفصول المختلفة للدراسة.

اخيرا ستعتمد الدراسة مصطلح الاسرى للإشارة الى الاسرى الفلسطينيين السياسيين المتواجدين في سجون الاحتلال، وليس معتقلين، لاعتبارين، الاسرى هو المصطلح الذي ورد في اتفاقية جنيف الثالثة حول اسرى الحرب، وايضا كما يعرف الاسرى الفلسطينيين انفسهم "الحركة الوطنية الاسيرة" و"اسرى الثورة الفلسطينية". وهو المصطلح الذي درجت الحركة الاسيرة الفلسطينية تعريف نفسها عبره أي حركه "اسيرة" وليس حركة "معتقلة" في أدبياتهم ورسائلهم التنظيمية كما سنرى لاحقا.

خامسا– في بنية الدراسة

اضافة لهذا الفصل والذي يتطرق للاطار النظري للهوية، واستعراض الادبيات، واشكالية الدراسة، ومنهجيتها. سترتكز الدراسة على ثلاثة فصول مركزية تشكل عناصر الهوية الوطنية كما صاغها الاسرى:

– البنية التنظيمية، وفيه سيتم التطرق والبحث في الادوات واليات التنظيمية المختلفة التي استخدمتها الحركة الاسيرة لتعزيز صمودها ومواجهتها لمحاولات تفريغهم من مضمونهم الوطني، وللحفاظ على الذات الاعتقالية بعيدا عن الانهيار.

-البرنامج الثقافي، سنستعرض مجمل البرنامج الثقافي وتعبيراته (نشرات/ مجلات/ تعاميم...) ونوعية المواد التثقيفية المساهمات المختلفة للأسرى وعلاقتها بالهوية الوطنية وبناء الشخصية القادرة على حمل هذه الهوية .

- الصراع والنضال ضد ادارة السجون: في هذا الفصل سنركز على ممارسات واجراءات ادارة السجون التي هدفت الى اذلال الاسير الفلسطينية والمس بكرامته الوطنية، مقابل ذلك الاجراءات والخطوات النضالية التي قام بها الاسرى للحفاظ على ذواتهم الوطنية حتى في ظروف الاسر وضمن سيطرة ادارة السجون. وكيف فرض الاسرى علاقة قائمة على الندية لا الخنوع قوامها الأساس الاستقلالية التنظيمية والإدارية للأسرى.

الفصل الاخير سيخصص للاستنتاجات الاساسية للدراسة، في علاقتها بالاطار النظري وبالنصوص الاصلية المستخدمة.

وسيكون ملحق مركزي عبارة عن تأريخ للمحطات الاساسية في تاريخ الحركة الوطنية الاسيرة (Historical chronology)، وهي محاولة لرسم خارطة زمنية لما جاءت عليه الفصول الثلاث المركزية .

وستحوي الدراسة قائمة المراجع، وملحق صور عن بعض النصوص الاصلية لمزيد من الايضاح والربط.

الفصل الثاني

ادوات تنظيمية : كادر مؤدلج ومنضبط ومؤسسات اعتقاليه تواجه الصراع

"انكم ترون ان من حقكم الانتظام، وانا من واجبي التشويش عليه"

يستعرض هذا الفصل التجربة المتراكمة للحركة الفلسطينية الاسيرة في بناء ادوات ومؤسسات تنظيمية داخلية في تنظيم الحياة الداخلية للأسرى الخاصة والوطنية العامة والتي ساهمت عبر صلابة بنيتها في التصدي للسياسات الاحتلال المختلفة والتي سعت الى تصفية الهوية الوطنية للأسرى الفلسطينيين. ناهيك عن ان بناء الذات، تنظيم ومؤسسه، كان بحد ذاته تجسيد للهوية كما اشار العديد من المنظرين بالارتباط بين الهوية والبناء السياسي ومؤسساته.

يبدأ تفتيت الذات الانسانية للأسرى وتبهيت الهوية الوطنية بل شطبها، عبر سلسلة من الاجراءات؛ من هندسة السجن بالمفهوم الفوكوي(فوكو 1990) مرورا بالإجراءات التي تهدف لإذلال الاسير، وانتهاء بعمليات القمع المستمرة لأية محاولات تصدي من الحركة الاسيرة [6]هي السياسة والايدلوجية المعلنة من ادارة السجون الاسرائيلية، وهي سياسة ليست غريبة عن أي سجن للأسرى السياسيين في ظل الاستعمار، فكما هو الوضع لدى الاسرى الفلسطينيين كان بالنسبة للأسرى في جنوب افريقيا، وفي ايرلندا الشمالية حيث عمدت ادارة السجون والسلطات البريطانية الى نزع صفة سجين سياسي عنهم والاعتداء على هويتهم الوطنية، وارغامهم على اجراءات انضباطية لفرض السيطرة والهيمنة عليهم، ما دعاهم بالمقابل الى اجراءات تصعيدية من رفض

[6] للمزيد من المعلومات ارجو العودة إلى فصل النضال والاضراب من هذه الدراسة، حيث يوجد تفصيلات متنوعة وواسعة عن هذه الاجراءات والسياسات.

ملابس السجن بما عرف بإيرلندا بموقف البطانية(blanket) حيث يلتحفون البطانية بدل الملابس(Feldman 1991)، وانتهاء بالإضراب عن الطعام حيث توفي بوبي ساندز السجين الايرلندي الاشهر في العام 1981 وفي هذا الصدد واثناء الاضراب كتب بوبي ساند يعّرف نفسه ويقول: *"انا سجين سياسي ، مقاتل من اجل الحرية، موجود بالأسر حيث ناضلت هنا وهناك في وطني الاسير، وارفض ان اكيف نفسي لأتناسب مع من يضطهدني ويعتقلني ويعذبني وأسرني كما هو الحال مع وطني*(Sands 1983). وليس بعيدا عنه ما يقوله الاسير المحرر حاتم الشنار (الشنار 2014)[7] في اشارة لطبيعة النضال داخل الأسر كجزء من المقاومة خارجها بل ومرتبطة بها، ولا تنفصم عراها، نضال كان بالنسبة له يستهدف الذات الفلسطينية في صراع وجود قاس كما هو حال الايرلندي بوبي ساندز، ولكن هو بالمقابل صراع حق لأنه يعني الوجود الوطني الجمعي:

> *" الجانب الوطني والمعنوي هو ما تم استهدافه، الاضطهاد سادي من العدو، والمستهدف انما قتل للروح الوطنية... الشعور اذن هو ان أي هزيمة فردية تعني ان ينهزم الانسان الفلسطيني، معركة وجودية لكل الوطن*[8]*.. اعتبرنا وجودنا امتداد لشعبنا وامتداد لحركة المقاومة ".(الشنار 2014)*

وبالتالي لم ير الأسرى أمامهم إلا إيجاد وسائل وآليات تساعدهم في مواجهة هذا الصراع والذي يمارس فيه العدو السادية كما يعبر عنه الاسير الشنار. فكان ترتيب اوضاع الاسرى وانتظامهم ضمن حياة منظمة مسألة بالغة الاهمية، لما تشكله قوة وضمانه لاستمرارهم كجماعة مستهدفه على المستوى الوطني والقومي:

---

[7] حاتم الشنار اعتقل في 1969/3/13 وتحرر في عملية تبادل الاسرى بين الاحتلال والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة - عملية الجليل ،في العام 1985، اعتقل ضمن خلية عسكرية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وكان من قيادات السجون في السبعينيات.

[8] اينما وجد خط/ تشديد على الكلام/المعنى هو من الباحثة.

"في البداية كان العنوان الصبر لغاية تنظيم انفسنا والتفكير بالهرب الهروب الجماعي من الاسر، او في تبادل الاسرى... وخاصة في حينه كانت عمليات خطف الطائرات. وعندما طال الوقت كان التفكير: لا بد من المقاومة ويجب مواجهتها ليس فرديا وانما وطنيا وجماعي من خلال خطة وطنية. لها بعد وطني والانساني. رد الفعل عليه ان يكون جماعي، المصالح الوطنية واحده ويستهدف مجموعة الاسرى والاسرى هم الطليعة. (الشنار 2014)

اذن فإن بناء المؤسسة غدا بطبيعته ردا على الاحتلال من جهة وتأكيد للهوية من جهة اخرى، انه جزء من سياسات الهوية كما عبر عنها مرارا هوبسباوم واندرسون(Hobsbawm 1992، Anderson, 1991)

انتمى الاسرى لتنظيمات مختلفة وكان جزء قد تحول مبكرا من حركة القوميين العرب الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين[9], بعضهم جاء من جيش التحرير الفلسطيني والتحق اغلبهم في الأسر بحركة فتح، وكان هناك ايضا أسرى حركة فتح، وبعض التنظيمات الاخرى الصغيرة (قطامش 2012)، ومع بداية السبعينات كان هناك بروز تنظيمي واضح بمعنى لكل تنظيم على حدى وبعلاقته بالتنظيم لآخر، وهذا ساده بعض الخلافات بين التنظيمات على اساس سياسي، الا ان هذه الخلافات سرعان ما كانت تتراجع للخلف معطيه مساحة اساسية واولية للصراع مع ادارة السجن نتيجة طبيعة الاستهداف الجماعي.

" لقد كانت الهوية التنظيمية في حينه موجوده وبارزه وكان هناك خلافات على اساسها. في البداية كان هناك انشطة فكرية مشتركة، وثقافية، وندوات معنوية لمواجهة ادارة السجن. ولكن الخلافات سياسية وايدلوجية وهذا في البداية اعطى

[9] اسس د.جورج حبش حركة القوميين العرب بمعية عدد من القوميين العرب، وفي العام 1967 واثر الهزيمة واحتلال ما تبقى من فلسطين، قرر الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب، التحول نحو تأسيس اطار يتبنى تحرير فلسطين عبر الكفاح المسلح اطلق عليه الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

دور سلبي في ابراز الوحدة، ولكن امام ضرورات الصراع مع الادارة مفاضلة المصلحة الوطنية لأجل الوحدة امام ادارة السجن"(الشنار 2014).

مجتمع الاسرى: الفرد، الجماعة، والمؤسسة

وبناء على التجربة الجديدة والعلاقة مع ادارة السجون ادرك الاسرى ان هذه المعركة ونوعية الساحة النضالية تختلف عن ما هي عليه خارج الاعتقال، وان عليهم اعادة النظر في قوانين وآليات المواجهة والصراع والمقاومة، اليات تساهم في خلق كادر جديد ومناضل صلب من الدرجة الاولى قادر على هذه المواجهة، واليات تنظيمية داخلية تسعى لتربية هذا الكادر واداة مهمة هي المؤسسة الاعتقالية الواحدة والجامعة تؤطر وتساهم في خلق الظرف المناسب للأسرى، حيث تشكل الهوية الجمعية في مواجهة ادارة السجن على اسس وطنية وقومية، وتخلق الاجواء المناسبة داخليا لخلق الكادر الصلب والمناضل ليستمر في نضاله خارج الأسر كما وضحنا اعلاه:

"....تحول دورنا من مقاومة شعبية ومسلحة الى أاشكال جديده لها ادوات مختلفة، واصطفاف مختلف. العلاقة تأصلت اكثر مع الخارج، الاحساس الوطني عند الخطر كان أعمق، الروح الجمعية، الاحساس بالانتماء الوطني. نناضل ضد العزل عن الحركة الوطنية".

أ . الانتظام التنظيمي:

وعليه فإن بناء هذا الكادر تطلب الانتظام ضمن حياة منظمة مبنية على اسس، ولذا فإن البرامج التنظيمي بالدرجة الاساسية كان موجها بالأساس باتجاهين: داخلي عبر خلق كادر منضبط يساهم

في رص الصفوف والمحافظة على الذات الاعتقالية في مواجهة ادارات السجون واجهزتها الامنية الفاعلة بقوة في السجون، وخارجي خلق كادر منضبط قادر أن يخوض الحياة النضالية والحزبية التنظيمية المنتظمة في لحظة الانعتاق من الاسر. وقد بني البرنامج التنظيمي على كل ما يمكن ان يغذي العضو من نواح تنظيمية ناظمة للعمل، ومبادئ الحزب/ الحركة ورؤيتها للصراع مع الاحتلال وكيفية إدارة المعركة، هذا البرنامج التنظيمي والذي يسير ويحايث البرنامج الثقافي وليس مفصولا عنه، كان يتوج بكل أشكال العمل التنظيمي الرسمي خارج الاسر حيث تساهم المنظمة الحزبية/ الحركية بكل ما يقوم به التنظيم بالخارج من برنامج تنظيمي/ حركي في داخل السجن، جلسات، نقاشات، اجراءات انضباطية، واخيرا واهمها عقد المؤتمرات الحزبية/ التنظيمية الداخلية والخاصة بمنظمات الاسر، واخرى الموازية لمؤتمرات التنظيم الخارجية، ويتم التعامل معها بنفس الجدية والسرية القائمة. وسنأتي على اهم المفاصل وامثله من كل ذلك في هذا الفصل.

في استعراض سريع لتاريخ الانتظام التنظيمي داخل السجون سنرى ان الانتظام هي معركة اخرى لا تقل عن اية معركة خاضها الاسرى ضد ادارات السجون وهي جاءت معمدة بالتجربة المقاومة لسياسات ادارات السجون خاصة سنوات القمع الاولى. تلك النضالات ضد القمع والاذلال(السجن ليس لنا 1985) خلقت بوادر جنينة لانتظام الاسرى عبر المواجهة الجماعية لسياسات القمع، أي كضرورة لمتطلبات النضال وايضا كنتيجة له. وبدأت الحركة الاسيرة تخط طريق اوضح في عملية البناء التنظيمي والوطني، أي على مستوى التنظيم الواحد وعلى مستوى الحركة الوطنية في السجون. ومع كل سياسة اعتقاليه تفرضها إدارات السجون على الاسرى كان

يتصدى لها الاسرى ويواجهوها، كانت عملية الانتظام والحاجة لها تتبلور بقوة وتجد طريقها لمزيد من التركيم والبناء التنظيمي.

ان عملية الانتظام التنظيم وان كانت تحمل في شكلها عملية "هدوء واستقرار ما" للسجن بمعنى حياة منظمة مرتبة ومضبوطة، وبالتالي يجب ان تفترض بالنسبة لإدارة السجن سجن هادئ ومضبوط ومراقب، الا انها شكلت الحالة المعكوسه، حيث قدرت ادارة السجون الوضع بدقة متناهية ومكتشفة الخطر وراء حالة الانتظام، يعني بنية تأخذ بالتصلب يوما بعد يوم ، يعني من لا يقرأ سيصبح قارئ ومن لم تسعفه الحياة على الالتحاق الجدي بالمقاومة الان فرصته، والاهم ان في الحياة التنظيمية هي عبارة عن خلق مناضل مثقف واعي وعضو تنظيمي منضبط وفاعل، أي باختصار المعادلة عنت لإدارة السجون ان الانتظام هو بمثابة مصنع لخلق المناضلين ومقاتلين ينتظرون لحظة الافراج للالتحاق بالثورة. وقبل ذلك وبعده كانت الادارة بحساسية المسيطر والمهيمن تدرك ان مؤسسة التنظيم اقرب الى "كيان سياسي اعتقالي" وبالتالي لهوية ما، انها الدولة حسب هوبسباوم حيث تتجسد رؤية المشترك ضمن ادارة سياسية تشكل هوية موحده (Hobsbawm 1992).

يتحدث الاسير المحرر قدري ابو بكر[10](ابو بكر 2014) عن ذلك النشاط الذي يخلق المناضلين ويصنعهم ليكون جاهزين للعمل الثوري في الخارج، هذا العمل التنظيمي الذي كان عليهم ان

[10] قدري ابو بكر: دخل الارض المحتلة في 1970/4/13 واعتقل بالقرب من منطقة قبلان في شمال الضفة الغربية، وتم التحقيق معه في المسكوبية، ثم انتقل لسجن نابلس وعاش هناك 6 شهور، حكم لمدة 20 عاما، وقد امضى اطول الفترة من حكمه في سجن عسقلان ضمن منظمة حركة فتح، تم اطلاق سراحه في عملية التبادل " عملية الجليل" 1985.

يدفعوا ثمنه غاليا من اضرابات وتنقلات تعسفية من سجن لآخر في محاولة من ادارة السجون لتفتيت وضرب وحدة الاسرى ونظامهم الداخلي والحالة التنظيمية القائمة:

"المتعلم يعلم غير المتعلم، والجميع يجب ان يتعلم، كان التعلم الزامي وخلال سته شهور الأُمي يتعلم القراءة والكتابة. وكان تعليم لغات، الوقت منظم، القراءة، الاستراحة، اللعب/ الجلسات..الخ. وعبر الصراع والتحدي مع الادارة فرضنا الوضع التنظيمي. بقي الوضع حتى اكتوبر 1973 وقبل ذلك اتى وفد" غوئيلا كوهين – عضوة كنيست" زاروا السجن وكتبوا تقرير للكنيست تحدثوا عن ان الاسرى يعيشون في فندي خمس نجوم. ، فبدأوا بإجراءات جديدة منها محاولة تفتيت وحدة الجماعة واستهداف الكانتين، الفورة، الرياضة، الاجتماعات، والتنقلات".

لم يجد الأسرى أمامهم إلا المواجهة وكانت موحده للجسم الاعتقالي كله، اضراب استمر لشهور ولكن تم تحقيق المطالب فسارعت ادارة السجون لنقل النشطاء والقيادات من هؤلاء الاسرى لعدم تمكينهم من مراكمة هذه الانجازات:

"...فأعلنا الاضراب عن الفورة وزيارة الاهل، بعد ثلاث شهور أتت حرب اكتوبر، وغطت اعلاميا على وضعنا في الاعلام، وبالتالي خف الضغط الاعلامي على ادارة السجون وسياساتها. وكان امامنا خياران إما انهاء الاضراب او الاستمرار حتى انتهاء الحرب، فآثرنا الاضراب ..ثلاثة عشر شهرا بدون زيارة أو فورة، وحققنا المطالب. وكانت النتيجة ابعاد حوالي 70-80 من الاسرى شعروا انه ناشطين الى سجن طولكرم كعزل، وهناك الوضع التنظيمي كان هادئا واستغلناه بالدراسة، وسارت الحياة التنظيمية بشكل جيد ايضا"(ابو بكر 2014).

وبناء على ما سبق ، شنت ادارة السجون حملة على عملية الانتظام، وكانت ادارة السجون في حينه تعيش معركة فاشلة انتصر فيها الاسرى حيث تم اغلاق مرافق العمل المذلة بالكامل، هذا

الصراع على مرافق العمل وانتصار الحركة الاسيرة كان المؤشر الاقوى على ان هناك تحولات جذرية وقوية لدى الحركة الاسيرة ستؤهلها لخوض أي صراعات مستقبلية مع إدارات السجون وستنتصر بها. ومن هنا كان القرار بشن حملة لكسر الانتظام لدى الحركة الاسيرة وعزل قياداتها وتفتيت بنيتها، بحيث يكون ايضا الاسرى الجدد في عزل عن الاسرى القدامى لمنع انتقال التجربة، فتراكم التجربة يعن خلق ذاكرة جمعية والاخيرة اساسا الهوية الجمعية حسب اندرسون والخالدي(Anderson, 1991، Khalidi 1997). لقد عبر عن ذلك بوضوح مدير سجن عسقلان دسيتلفيد: الذي قال " انكم ترون ان من حقكم الانتظام، وانا من واجبي التشويش عليه" (السجن ليس لنا 1985: 97). لقد رأت إدارة السجون في حياة الأسرى التنظيمية ليس فقط تربية ولكن كسر لمخططاتها باستهداف الفرد الفلسطيني في تجسيد هويته للنيل من صموده وانتمائه كأداة مهمة في تحطيمه على قاعدة الصراع الوطني، وبالتالي عليها ان تقوم بما يلزم لعملية تفتيت للحركة الاسيرة، من هنا جاءت مسألة عزل قيادات الاسرى، أو عزل الاسرى القدامى عن الجدد، واعادة تخطيط السجون بحيث تصبح مثلا الغرف تتسع لعدد أقل من الاسرى بعد ان كانت غرف وعنابر تتسع للعشرات اصبح العدد لا يتجاوز اصابع اليد وفي اكثر الاحوال الغرفة تضم 16 اسير. وفي اقسام كل منها معزول عن الاخر، واليوم مثلا نرى ان السجون التي فتحت بعد التسعينات او الالفين غرفها صغيرة أكبرها مخصص لثمانية، واصغرها لاثنين. والهدف هو أقل احتكاك ممكن بين الاسرى ببعضهم (ابو دحو 2012) وتلك مسألة لها صلة بضرورة السيطرة على الجسد حسب فوكو، ناهيك عن تفتيتها للجسم الاعتقالي المجسد لهوية الوطنية. وقد اتبعت ادارة السجون ليس فقط سياسة التفريق بل سياسات متفاوتة بحق الأقسام المختلفة والأطر

التنظيمية المختلفة خاصة الفصائلية، كل حسب التقييم العام لطبيعة الفئة من وجه النظر الاستخبارية والادارة لإدارة السجون، وهي سياسة تحمل في طياتها سياسة فرق تسد، من خلال خلق تباين بالظروف وبالتالي بالحاجة للنضال لتحسين الظروف المعيشية والانسانية. وقد كان سجن عسقلان بداية لتطبيق سياسة التشويش والتخريب على الانتظام لدى الأسرى، لأنه شَكّل في حينها نموذجا على الصراع الصلد ضد ادارة السجون وفيه تم قبر سياسات العمل والمصحوبة بإضراب طويل لتحسين شروط الحياة الانسانية للأسرى، وتبعه في نضاله سجن بئر السبع حيث استعملت القوة والعنف ضد الأسرى وتحديدا قيادات الحركة الاسيرة التي تم نقلها سابقا من عسقلان وسجون أخرى عنف سُمّي "بالاثنين الدامي" لحجم القوة والتنكيل الذي مورس بحق الاسرى. لقد لّخَصَ الأسرى سياسة كسر الانتظام كمعركة اخرى في عملية الصراع والنضال الوطني مع الاحتلال، ويمكن تلخيص فهمهم وتقديرهم للمسألة بالاقتباس التالي وعلى لسان احد الاسرى:

> " لقد كان واضحا وطوال المسيرة ان النيل من ذات الاسير الانسانية والنيل من ذاته الوطنية بالانقضاض أولا على هذه الذات وفي الاستيلاء عليها ثانيا، كان في صميم المخطط الاستهدافي وخلفية ايدولوجية له على اعتبار أن أمن الصهيونية يتطلب ليس فقط الاستيلاء على الارض بل وعلى الهوية او الشخصية الوطنية للشعب ككل ولكل فرد فيه (جابر 1979).

ان جابر واضح ومصيب تماما في ربطه بين الذات الاعتقالية، بنية التنظيم، والهوية الوطنية ككل.

لقد كانت عملية الانتظام وفق الاطر التنظيمية والوطنية مسألة بغاية الأهمية بالنسبة للحركة الأسيرة، رأى فيها الأسرى شريان الحياة والاستمرار ومقاومة للموت، والسحق الانساني، وضخ شريان الحياة في عروق معرضة للجفاف مع استمرار الاعتقال لسنوات طويله، والأهم هي الوسيلة الأفضل للإبقاء على الذات الوطنية صلبه ومتماسكه، وبالنسبة لهم فإن الانقضاض على ذاتهم الوطنية والانسانية والسّيطرة عليها، وهذا الاستهداف لن يمر ويجب ان يكسبوا المعركة رغم عزل القيادات والفرز التنظيمي للأسرى الذي كان يستهدف كل جسم الحركة الاسيرة وليس الافراد بشكل منفصل. تلخص عائشة عودة (عودة 2014) كل هذه الفلسفة النضالية حول الصراع والارتباط الوطني والقومي، واهميته، ودور الاسيرات داخل السجن، وأهمية نضالهن في السجن لقناعتهن بضرورة الاستمرار بالنضال خارجه:

"طبعا، لماذا نحن في السجن، لأننا نحن امتشقنا ارادتنا ونرفض الهزيمة في الامة العربية، ونحن ...من فئات شعبية ووطنية، ونريد ان نأخذ بأيدينا لتصحيح أوضاعنا ولذا نناضل، وصولنا للسجن محصلة لهذا النضال، واحنا موجودين في السجن نحن المناضلات وكل شيء سيصدر عنا يصب باتجاه اننا نحمل واصحاب قضية، وهذا العدو هو الذي شردنا وشرد شعبنا واخذ ارضنا,, نحن لا نستسلم امامه لأنه اذا اردنا الاستسلام، لما مشينا اصلا بهذه المسيرة ، وان نناضل، كنا حاملين روحنا على كفنا ومستعدين ان نعطي ارواحنا عندما تدخلي في السجن هي اقل من تقديم الروح ولكن تريدي الاستمرار في النضال، وهذه القضة كانت وكنا عايشين بهذا الاتجاه، واين نمشي ولماذا موجودات في السجن وبقينا محافظين على هذ القضية ونريد ان نخرج من السجن اقوياء، كنا نرى اننا اصحاب الأرض واحنا بدنا نخزق عينهم انه على ارضنا موجودين وهم مجرد خدام، وكنا هيك نفلسفها بسكروا الباب وبيجبوا لنا الاكل، أي نحن الاسياد وليس هم، هم معتدين ويأخذوا حق غير حقهم، واحنا نعتز بحالنا وليس هم ونرى حالنا فوقهم." (عودة 2014)

ب. الكادر المنضبط المؤدلج

يمكننا وعبر استعرض الادبيات المستخدمة والمنتجة داخل الاسر من رؤية ما ذهبنا اليه أعلاه حول إدراك الحركة الاسيرة لأهمية الانتظام التي كانت ضرورية لخلق الظرف المناسب لبناء الكادر المؤدلج والمنضبط الواعي لطبيعة الصراع القائم بين مجتمع الأسرى الفلسطينيين وإدارة السجن الاحتلالية، وعليه فقد حدد الأسرى المعايير التي يتم وفقها التعامل في الاسر، هي معايير تنبع من القناعة ان الصراع المركزي هو مع العدو، حيث المواجهة المستمرة والمباشرة، وفي المجلة المركزية "الثورة مستمرة" والصادرة عن المنظمة الحزبية للجبهة الشعبية في سجن غزة المركزي، وتحت عنوان الموضوعة الاعتقالية (الثورة مستمرة 1991) كتبت لجنة التثقيف الحزبي للأعضاء حول المبادئ الاساسية للسياسة الاعتقالية، والخطوط العامة لبرنامج العلاقات داخل الحركة الوطنية الاسيرة، وكذلك الخطوط الاساسية للتعامل مع العدو: في المبادئ الاساسية للسياسة الاعتقالية:

1. التناقض الأساسي والرئيسي هو مع مجموع الحركة الاسيرة من جانب وإدارة القمع الصهيوني من الجانب المقابل.

2. بالمقابل فإن التناقضات بين مجمل الحركة الوطنية الاسيرة هي تناقضات تجد لها حلولاً على أرضية الحوار الديمقراطي المسؤول والملتزم.

3. ضرورة رفع الوحدة الوطنية ووحدة الصف الاعتقالي في مواجهة الاعداء فوق اية تناقضات او اختلافات او تعارضات تنظمية او سياسية.

ان إدارة الصراع والحفاظ على الذات والهوية الوطنية في مواجهة محاولات طمس هذه الهوية، كان يطلب ليس فقط تحديد التناقضات الأساسية على قاعدة الصراع الوطني مع الاحتلال، وانما الآليات والأسس التي تخلق الانسان الواعي والصَّلب القادر على المواجهة والصُّمود في هكذا صراع، أي بناء كادر يُعَّبر عَن الشَّخصيّة الوطنية في مواجهة الأيدلوجيا الاحتلالية، وصراع الوجود والارادات بين الطرفين. وقد حددت الاطر المختلفة هذه السمات ليس انفصالا عن التعريف العام خارج السجن وانما اتساقا معه وارتباطا به، حيث السجن هو حيز نضالي آخر لا يقل قيمة واهمية عن الحيز خارج السجن.

فمنظمة الجبهة الشعبية وفي رؤيتها لتوسيع وتنمية الكادر في الاسر اعتبرت انه يتوجب تقيم الكادر على اسس تمليها المرحلة (الجبهة الشعبية، 1991) ، وهذا التقييم خاضع لشرطين وفق المفهوم اللينيني الذي تؤمن به الجبهة الشعبية كفصيل ماركسي لينيني: السياسي والعملي. وان كان السياسي يعني الايمان بخط الحزب السياسي والفكري والاستراتيجية والتكتيك. فأن الشرط العملي يأخذ ابعادا في محاكمة وتقييم الكادر ومنها[11]:

المقياس الفكري: أي مدى تعمقه بالنظرية الماركسية اللينينية والاسترشاد بها وبل مطالبة الكادر القيادي بإعادة انتاجها ضمن الظروف النضالية الملموسة.

[11] هذه المعايير كانت تدرس في السجن ولكن هدفها هو تأهيل الكادر للعمل خارج الاسر، وعليه المادة تحاكي النضال خارج الأسر.

المقياس التنظيمي: الكفاءة التنظيمية والادارية في قيادة مهام وتطوير المنظمات التي تقع ضمن حيز مسئوليته، وبناء مزيد من الكادرات ومزج مرؤوسيه في اوساط الجماهير لتسيسيهم وتأطيرهم، أي كل ما يتصل بالعمل الحزبي والديمقراطي.

المقياس النضالي: شجاعته واستعداداته وحسن ادائه في المهمات النضالية داخل الاسر والاهم ما بعد التحرر من الاسر.

المقياس المعنوي والاخلاقي: أي ثباته وحبه للوطن ولشعبه، واندماجه في الجماعة والتسلح بالأخلاقيات العُمّالية المنحازة طبقيا والثورية.

اضافة لجملة اخرى من المقاييس لا تقل اهمية منها الطبقي، السياسي، الأمني، والميداني واخيرا التربوي. مقاييس تنحت بفعل التربية الحزبية والنضالية كادر خاص ومميز قادر على مواجهة الصراع بوعي لطبيعته.

بينما رأت "فتح" (النشرة الادارية، 1985/9/4) في العضو سلسلة من السمات التي تساهم في تصليبه لمعركة المواجه مع ادارة السجن والتي تسميها "ادارة القمع الصهيونية"، واهم هذه المعايير المعيار الحقيقي وهو العامل الذاتي الذي يساهم في انجاح الاهداف:

> *" ان عجلة التاريخ لا تعود للوراء، واننا على ثقة تامه من قوتنا على مواجهة ادارة القمع الصهيونية وافشال كل مخططاتها في كل زمان ومكان، ولكن هذا يتطلب من مزيد من العطاء والنشاط والابتعاد عن كل عوامل الملل والاحباط ومحاربة كل مظاهر الكسل والخمول، وهنا يأتي العامل الذاتي في قوته أو ضعفه كمعيار حقيقي في القدرة على المواجهة والتصدي، وبالتالي التطوير المستمر لقدراتنا وعلى كافة*

الأصعدة، وتمكين وتقوية مؤسساتنا التنظيمية والاعتقالية مما يؤدي بالتالي الى الحفاظ على جاهزية نضالية عالية".

وفي نشرة اداريه اخرى (النشرة الادارية اكتوبر 1985) وهي كناية عن النشرة التنظيمية تعبر حركة فتح في الاسر بأن مسألة الانضباط الحركي التنظيمي بكل ما يصدر عن الحركة هي من السمات المركزية التي تؤهل العضو لكي يطلق عليه عضو ملتزم:

"ان الانضباط بالبرنامج والقرارات التنظيمية هو الحد الفاصل بين الالتزام وعدم الالتزام، وهو بالتالي تعبير عن درجة ومستوى التزام العضو بالتنظيم وبرامجه وقراراته وبتعليمات المراتب التنظيمية في كل زمان ومكان وهنا المسؤولية والسلوكيات المنضبطة مسألة اساسية".

في اعدادها للكادر الحركي الملتزم تنظيميا، لا تغفل حركة فتح عن الظروف الموضوعية وهي الواقع الاعتقالي والمواجهة المستمرة مع العدو المتمثل بإدارة السجون بل وهي تبني هذا العضو تنظيميا، ترى ان واقع الاسر وهو يفرض ضرورات العمل الجماعي لا الفردي، فإن ذلك ليس بمعزل عن النظام الاساس لحركة فتح في كل مكان، وان في القلب منها هذا العمل الجماعي، ويمكن تلمس ذلك من خلال ما ورد في احدى النشرات الادارية بعنوان " الروح الجماعية صمام الامن التنظيمي (النشرة الادارية 1983):

"...الكل فينا يعرف الاوضاع المأساوية التي عاشها المناضل الفلسطيني الاسير في بداية مراحل الاعتقال، كل ذلك كان بسبب غياب الاطار التنظيمي الذي يستطيع تنظيم الجهد الجماعي في سبيل الحفاظ على الذات المناضلة وصيانه مضمونها الوطنية وافشال محاولة التفريغ الدائم لهذا المحتوى الثوري. كما يجب ان لا يفوتنا ان العمل الجماهيري وتنميته يشكل الاسس التنظيمية المثبته في اللائحة الداخلية في اطار واجب العضوية لذلك نلاحظ ان هذه الاساسية قد تجاوزت العضوية كونها

ضرورة موضوعية لا تخدم واقع الاعتقال فقط بل هي مبدأ تنظيمي مطالبين بالالتزام بها من خلال الوعي والفهم ثم الممارسه العملية على ارض الواقع وعلى كل الأصعدة".

وتستمر النشرة في التأكيد على أهمية الالتزام التنظيمي والمطالبة بعدم التعامل مع مسألة الالتزام وكأنها مسألة تافهة لا تعني شيء، بل هي روح العمل الجماعي والناظم له، وهنا تولي الحركة اهمية للعمل الجماعي المسلح بالوعي، كيف لا وفي التجربة العملية في مواجهة ادارة السجن ادرك الجميع كما ذكرنا سابقا ان وحدة الجماعة هي الكفيلة بالحفاظ على الذات، انطلاقا من ان الذات هنا، ذات تنظيمية/ سياسية، هي بمفهوم آخر، ذات/ كيانية تلعب دورا اساسيا في تشكل الهوية في الاسر:

" ..علينا العمل على تجسيد الروحية الجماعية من خلال السلوك المسلح بالوعي والتفهم التنظيمي، ان مسألة تفهم العمل، مسألة فهم وقناعة ومبدأ، قبل ان تكون سلوك وصورة فقط، فعندما يتوفر الوعي لذلك نكون قد وصلنا للغاية الكامنه من وراء هذه الصورة وهذه الروح الا وهي الوحده والقوه ومن ثم الاستمرارية والثبات "(النشرة الادارية، 1983).

تشكل الترتيبات التنظيمية اداة فعالة لخلق روح التزام ولتحشيد العمل الجماعي، ولمعالجة الاشكالات المختلفة الطارئة في ظروف الحياة الاعتقالية، وعبرها يتم التعبئة بمواقف الحركة، أوضاع السجن، العلاقة مع الادارة، نوعية الكادر المطلوب، واهمية العمل الجماعي وتعزيز الالتزام، هذه يمكن تلمسها عبر النشرات المختلفة حتى الثقافية منها، التي تركز على موضوعة الجلسة التنظيمية واهميتها لكل ما اشرنا اليه:

"المشاركة في الجلسات التنظيمية: الجلسة التنظيمية هي اللبنة الاساسية للعمل التنظيمي وهي الاطار الشرعي الذي يمكن من خلاله لأي عنصر كان التعبير عن آرائه وافكاره وانتقاداته وتوجيهاته من اجل تقويم المسار التنظيمي ودفع العجلة التنظيمية نحو الامام. والجلسة التنظيمية هي الاطار الذي من خلاله يمكن للمؤسسات التنظيمية المختلفة ايصال وتعميم وترسيخ الادبيات الحركية والفكر الحركي والسياسي والامني لدى الكل التنظيمي والعناصر التنظيمية والاعتقاليه التي تهم المسيرة الاعتقالية والعمل التنظيمي" (النشرة الثقافية ايلول 1983).

ت. الجماعة: المجتمع الاسير

مفهوم الجماعة كان قد فرض حضوره بقوة على الحركة الأسيرة، الجماعة كدرع واق يساهم في تعزيز وبناء الفرد الواعي المنضبط القادر على مواجهة ظروف الاسر الطويل. وان كان الانسان كائن اجتماعي بحد ذاته الا ان تطور وبناء ونمو هذا الكائن يتم بالضرورة الجدلية داخل الجماعة، خاصة في الظروف الاستثنائية كما هي الحالة هنا "الاسر". وبالتالي مدى انخراط الفرد- الأسير بالجماعة- الاسرى، ومدى المساهمة في حياة الجماعة يؤشر الى بنية الفرد وتصلب ارادته وارتقاء وعيه وامكانياته. وكما اسلفنا في ظروف الاسر حيث الاستهداف للذات الاسيرة كفرد وكجماعة تصبح الجماعة الحاضن والحامي لذات الفرد وبالتالي لذات الجماعة. هذه الحقيقة ادركها الاسرى حيث "ان الحفاظ على ذات الاسير الوطنية، بل والانسانية غير ممكن دون التشبث بالوجود الجماعي للأسرى والذي يتمثل بالوجود السياسي- التنظيمي- الاعتقالي" (السجن ليس لنا 1985:105) . تشير عائشه عودة (عودة 2014) الى سياسة الادارة في استهداف الاسير الفلسطيني على اسس وطنية وقومية وليس مجرد انسانية، أي استهداف اساسي

بالدرجة الأساسية والمركزية، وهذا الاستهداف له اشكال عدة اهمها عزل الفرد عن الجماعة، أي في عمليه تفتيت الجماعة لصالح الفرد حتى يتم الاستفراد في الفرد الاسير وتحويله لأداة طيعة بيد الادارة الى التالي:

"كانوا يستهدفوا انسانيتنا، قضيتنا الوطنية، قضيتنا القومية، ويستهدفوا الهدف الذي تناضلي من اجله، هم لا يريدوك كمناضلة مستعدين يتقبلوك كانسان ما له قضية، ومستعد ان يتجاوب معهم بكل شيء ويخدمهم وفي هذه الحالة يغدقوا عليه الاشياء المادية، طبع لا يحترموه، وكانوا يستهدفوا حالتنا النضالية بالأساس، ولا تعود لك علاقة بقضيتك واحنا نكون كريمين معك، وكانوا في البداية يحاربوا كلمة نحن مثلا نريد ان نزيد فترة الفورة من ربع ساعة لأكثر من ذلك، كانوا يقولوا انت تنطقي باسمك لوحدك، وكل وحده لازم تقول انا بدي، ولكن ان ينطق احد باسم المجموعة ويقول نريد، هذه القضية التي كانوا يحاربوها، لا يريدون ان نكون مجموعة وتنتمي الى قضية، كل عملهم كان يستهدف الى تحويلنا الى افراد بلا انتماء. فقط ننتمي الى ذاتنا ونبحث عن احتياجاتنا الخاصة. وفي هذه الفترة بحولنا كل الشعب فقط يفكر كل واحد يعمل حاله نفسه/ مستقبله، بيته وسيارته، فقط في نفسه وحريته الشخصية، هم يدجنونا بهذا السجن بشكل عام فما بالكم في داخل الاسر لبنات حاملين قضيتهم ويناضلوا من اجلها. فكان التحدث الاساسي لهم كيف يكسروا هذه الادارة وهذه الوحدة وهذا الانتماء".

وعلية فإن مسألة بناء الجماعة المتماسكة ضمن المجتمع- الاطر التنظيمية هي مسألة اساسا وتشكل شريان الحفاظ على الذات الوطنية والانسانية امام استهداف العدو، وهي الطريق لبناء شخصية وطنية سياسية وانسانية، وحيث تشكل الجماعة الشرط الموضوعي لنجاح عملية الحفاظ على الذات، والجماعة بكل معانيها وتداخلاتها الافقية والعامودية، أي تنظيميا وفصائليا على مستوى السجن الواحد، ووطنيا على المستوى العام والجماعة على امتداد السجون المختلفة.

ث. في المؤسسة الاعتقاليه واللوائح التنظيمية

اللجنة الوطنية العامة: (الكيانية السياسية) للأسرى

وبناء على ما سبق، فقد عكفت الحركة الاسيرة وقيادتها الى خلق هذا الواقع التنظيمي المنضبط عبر استحداث الاسس واللوائح التنظيمية والوطنية التي تنظم الحياة الاعتقالية وتحدد اوضاعها واليات عملها واليات الاحتكام لحل تناقضاتها المتوقعة الحدوث. وتلازما مع اللوائح استحدثت اللجان التنظيمية والوطنية ومن هنا ولدت "اللجنة الوطنية العامة" أي المكونة من ممثلي الفصائل المختلفة والتي توجه وتنظم وضعية السجن داخليا وامام ادارة السجن، فيما تم استحداث منصب ممثل المعتقل ولجنة الحوار، الوسيلة المركزية والوحيدة التي يتم من خلالها التعامل مع ادارة السجن فيما يتعلق بحياة وظروف الاسرى وبالعكس أي ان ادارة السجن لا تستطيع مخاطبة الاسير الا عبر ممثل المعتقل، فيما تقوم اللجنة الوطنية العامة بعملها كناظم للمواقف ولكافة الترتيبات ويلتزم ممثل المعتقل بقراراتها وتوجيهاتها. مع الاشارة إلى أنّه في بدايات التشكل أي في أواخر الستينيات من القرن الماضي، لم يكن هناك فرز فصائلي تنظيمي الأغلب كان من جيش التحرير الفلسطيني، أو من حركة القوميين العرب، وكانت الحجوم الى حد ما متقاربة بين فتح والجبهة الشعبية. وكانت تعقد الجلسات على مستوى الغرف وهي أقرب الى المحاضرات العامة وقد كان يتم تداول مواضيع ثقافية عن الحركة الصهيونية وعن الثورات والتجارب الثورية وكان يتولى ادارتها وطرحها على الاغلب كادر من حركة القوميين العرب وهو الكادر الذي كان اكثر اطلاعا ومعرفة حينذاك(قطامش 2012). وهي جلسات لم تكن منتظمة. وقد استمر هذا الوضع

حتى بداية السبعينيات، حيث بدأ الفرز التنظيمي لتنظيمين فتح والجبهة الشعبية[12]. ومنذ ذلك الوقت بدأت اللوائح التنظيمية واللجان الوطنية تشق طريقها في عالم الاسر ولينتظم الاسرى بشكل طوعي وواعي لأهمية الانتظام التنظيمي والاعتقالي كأحد ادوات الحفاظ على الذات من ناحية وبناءها من الناحية الاخرى في واجهة الية القمع الاحتلالي المتمثل بإدارة السجون(قطامش 2012).

شكلت اللجنة الوطنية العامة واللائحة الاعتقالية تحول مفصلي في الهيكلية التنظيمية الوطنية في السجون حيث أصبحت هي الأداة الجماعية التي تقود كافة الأسرى نشاطات الاسرى والعلاقات الداخلية بين التنظيمات، وتحدد اسس التعامل مع ادارة السجون والقواعد المختلفة لها، وكل ذلك أتى لضرورات الصراع مع الإدارة وعن بدايات هذا الهيكل التنظيمي الموحد واسسه يقول حاتم (الشنار 2014):

> *" تجلت الشخصية الوطنية وتعبيرات وتجلياتها ليس مفروض عليه ولكن هو لا شيء خارج هذا المشروع ومقاومة القوة العاتية، ما زلنا هنا مستهدفين. ضرورة الوجود ضمن الجماعة والتنظيم / هي حركة مقاومة دخل الاسر.... مسارات خاصة.. فقط المميز الادوات واشكال النضال في المعتقل انت جزء من المجموع لا يمكن ان اشعر خارج المجموع. من البدايات نوع من الهيئات الوطنية والتنظيمية لكن المأسسة كانت في العام 1974، قبل ذلك كان الوضع اقرب الى مسؤولي غرف، الحاجة ام الاختراع، الروح الجماعية وتطويرها لها اسس ناظمة ومتعارف عليها ومرشد للعلاقة. لازم ان يكون هيكل ويحرك الهيكل واجبات وحقوق اسس مرجعية ".*

[12] أي ان الأسرى لم يعودوا جماعة واحده من حيث الحياة التنظيمية الداخلية بل أصبح الاسير ينتمي ويعلن انتماءه لفصيل معين وبما يعنيه هذا من مكان سكن موحد"غرفة" جلسات تنظيمية خاصة وترتيبات تنظيمية للعضوية خاصة بكل تنظيم.

وليس بعيدا عنه ما يقوله الاسير قدري(ابو بكر 2014) حول البدايات واشكال التنظيم الاولى والاطار الناظم الذي ساهم في تطوير الحياة الاعتقالية والنضالية لجموع الاسرى :

> *"الصورة التنظيمية بدأت تتشكل على حدا لكل تنظيم وعلى مستوى الجميع، وجلسات تنظيمية وتنسيق عام، وممثلين دون انتخاب بسبب التنقلات، ولكن اصبح لجان ادارية ومركزية، فانبثق ممثلين ولجنة اعتقاليه ومنسق للسجن يمثل امام الادارة، وكان ممثل المعتقل من اكبر تنظيم ومعه لجنة من كل التنظيمات."*

لم يكن ممكنا للائحة الاعتقالية أن ترى النور إلا بفعل الحياة القاسية والظروف التي فرضها الصراع واجراءات ادارة السجن، والتي ما كان ممكنا تجاوزها إلا بالإرادة الجماعية وهو ادراك حمله الجميع على مستوى الفرد الذي كان *مستعدا للحياة التنظيمية الداخلية واندرج فيها كل بتنظيميه، وعلى مستوى الجماعة كتنظيمات واطار ناظم بينهما* للعلاقة كل ذلك شكل جسدا واحدا صلبا في المواجهة، ويمكن استشفاف هذه العلاقة وهذه الروحية والادراك العام للمسألة عبر ما جاء في ديباجة اللائحة الاعتقالية الموحدة لكافة التنظيمات(اللائحة الاعتقالية 1990)[13] وهي ديباجة طويله لأكثر من صفحتين تتعرض لتاريخ وفلسفة الثورة كحرب شعبية طويلة الامد ولكن هي حرب من اجل " *الحق الوطني الحكم المقدس"* ووهي ثورة ليست منفصله عن تجارب الشعوب وثوراتها من اجل التحرر. وتستذكر الديباجة النضال والتضحيات والتي اسفرت بالمحصلة على وجودهم في الاعتقال. وما تفرضه من ضرورات العمل الوطني الموحد، واقتبس هنا من هذه الديباجة :

[13] هذا التاريخ المسجل ليس هو تاريخ صياغة اللائحة الاعتقالية ولكن هو التاريخ الذي تسلمت به الاسيرات في سجن الشارون اللائحة من سجني عسقلان وجنيد(وهي من الارشيف الخاص للباحثة).

"..ونحن لأبناء حركة وطنية واحدة بتنا نقبع خلف القضبان وفي السجن وفي اوطاننا ، واضحى تماسنا مع العدو النازي. وعليه فإن المصلحة الوطنية تقتضي ان نعمل سويا وبغض البصر والنظر الى انتماءاتنا السياسية والفكرية على ارساء قواعد وحدوية صلبة وتجسيد واقع ملؤه المحبة والاحترام المتبادل لنضمن بذلك عوامل استثمار القوة والنصر في جبهتنا الوطنية الشامخة"(اللائحة الاعتقالية 1990)

لا تنتهي الديباجة الى هنا بل تحدد الاسس والاهداف لهذه اللائحة الاعتقالية المقرة، حيث تتصدر المصلحة الوطنية العليا ، والهدف مواجهة الاحتلال المرتكز لها عبر الممارسة الديمقراطية وعليه فإن هذه الوثيقة هي:

"وثيقة اعتقاليه، وثيقة شرف وفخار، فيها تكبر الانجازات وتتصاعد النضالات وتتجمع الحشود المناضلة على هدف واحد هو التصدي للاحتلال ومؤامراته المستمره الهادفة للنيل من صمود الاسير الفل/[14] وكبرياءه الوطني على اساسها يكون التطور في العمل والارتقاء في الاداء والتقدم في المسيرة حتى استحقاق النصر الذي لا بد قادم، فبالوحدة تنصهر الطاقات وبالفهم الوحدوي الواعي تتآلف القلوب وبالعمل المتكاثف تتصلب الجبهة الداخلية ويرتقى المجموع فوق الخلاف ويحل دوما الوفاق بدل الفرقة والتباعد وقد قال الشاعر: "تأبى الرياح اذا اجتمعت تكسرا. واذا افترقت تكسرت آحداً" (اللائحة الاعتقالية 1990).

وكما نلاحظ فإن اللائحة لا تستهدف فقط الية موحدة للنضال الميداني، بل آلية لبناء تجربة وثقافة مشتركة تتناقلها اجيال الاسرى. اننا هنا امام بناء صلب تشكل آليات تعزز الهوية.

تناقش اللائحة الداخلية وعبر أبوابها مختلف جوانب الحياة الاعتقالية وتسير الابواب من الاحكام العامة وهي 17 بند، الى المؤسسات الاعتقالية وفيها اليات تشكيل وعمل اللجنة الوطنية العامة

[14] الفل/ اينما تظهر في الاقتباسات المأخوذة من نصوص الاسرى غير المنشورة تعني فلسطين/ فلسطينية/ ...وهي تقليد متعارف للسجون لاختصار الكلمة وتصريفاتها. (الباحثة)

وهي بمثابة لجنة التنسيق الوطني ويمكن اعتبارها كاللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير هي تجمع التنظيمات وعلى اسس التمثيل النسبي في عدد المندوبين، ولجنة الحوار مع الادارة، وهي ايضا مشكلة على ما يشبه التمثيل النسبي حيث ممثلان عن اكبر تنظيم، اضافة لممثل عن كل تنظيم. ومنها يخرج ممثل المعتقل. ثم تتوالى اللجان من نضالية، للثقافية، ..الخ، وكل بمهامها وادوارها واهدافها– ثم حول مرافق العمل وتوزيعاتها وهي ايضا حسب التمثيل النسبي وهي غير مدفوعة الاجر وتقدم خدمات فقط لصالح الاسرى[15]. ثم المؤسسة المالية– لجنة الصندوق، ولجنة التخيير[16]، ولجنة الاحتفالات الوطنية ومناسبات الاضراب[17].

كل هذه الابواب والاحكام تناقش ادق التفاصيل والمهمات والتي بالمحصلة تعمل على تماسك الحركة الاسيرة، ضبطها في ايقاع ناظم وجسم اعتقالي واحد قادر على مواجهة ادارة السجون بكل طاقاتها وامكانياتها من موقعها كسجان/محتَل، وتحمل اليات التعامل مع ادارة السجن وعبر الممثلين الرسميين للأسرى وليس كأفراد كما سعت ادارة السجون في البداية لتكسير وحدة الاسرى كما اشرنا سابقا.

ويمكن الوقوف هنا، ولمزيد من الاستزادة على بعض الاحكام العامة والتي وردت في الباب الاول من اللائحة الاعتقالية والتي تعكس رؤية الحركة الاسيرة لضرورة وجودها ضمن مؤسسة اعتقالية واحده تقود هذا النضال وتحافظ على استمراره وتعطي ابعاد وطنية لضاله وصموده،

---

[15] تم التعرض في مواضع اخرى من الدراسة، لمسألة رفض العمل المأجور لصالح الاقتصادي الاسرائيلي، والابقاء على مرافق العمل لصالح الاسرى من المطبخ الذي يقدم الطعام للأسرى، المغسلة، المحلقة، وعمال المردوان أي بين الغرف .

[16] لجنة التخيير تعنى بالأسرى الجدد اللذين يعتقلون دون انتماءات تنظيمية محددة ، يتم تخييرهم اما بالانتماء لتنظيم او بالانضواء اداريا تحت لواء تنظيم وذلك لتسهيل عملية الالتزام والانضباط وتسهيل الحياة على الاسرى كمجتع موحد.

[17] تقر اللائحة الاعتقالية بعدد ن المناسبات الوطنية التي يضرب بها الاسرى عن الطعام ليوم واحد وبشكل مستمر سنويا، منها يوم الاسير/ ذكرى النكبة او كما يسمها الاحتلال ذكرى الاستقلال واعلان قيام "دولة اسرائيل"، يوم الشهداء، الكرامة.، ويم الارض.. الخ، ويبلغ عددها 15 مناسبة.

وتعالج اليات التعاطي مع اشكالاته وتناقضاته التي هي ثانوية اما تناقضهم الرئيسي مع ادارة السجون، سبعة عشر بند من الاحكام العامة تتوزع على قضايا مثل الوحدة الوطنية، تعريف الوثيقة الاعتقالية كوثيقة شرف، معالجة ظاهرة الاستقطاب بين التنظيمات، اليات وضوابط التحويل التنظيمي[18]، رفض القوة لحل الخلافات الداخلية بين التنظيمات، وحلها بطرق ديمقراطية، عدم تصدير الخلافات داخل السجن لخارجه حفاظا على المصلحة الوطنية، عدم استخدام التشهير والطعن بين التنظيمات، الالتزام بالمؤسسة الاعتقالية وللجميع حق المشاركة بها من التنظيمات، المظاهر الجماعية من تعاونات ثقافية، ونقل الرسائل من والى الخارج، حرية السكن في الغرف لكل تنظيم. واخيرا الصياغة الجماعية للبيانات والتعميمات العامة. وكل ذلك بالنهاية يخلق جماعة بثقافة مشترك تساهم ببناء اهم مقومتين للهوية: الثقافة والذاكرة الجمعية ولتأكيد ذلك يهمنا هنا توثيق البند المتعلق بالوحدة الوطنية لما له علاقة لصيقة برؤية الاسرى كجماعة وليس كأفراد، يسجل البند الاول من اللائحة التالي:

> *" الوحدة الوطنية امر مقدس يجب العمل على تعزيزه وتدعيم قواعده والمصلحة الوطنية العليا هي المعيار والمقياس للعمل واي محاولة لتجاوزها بالقول او بالفعل هو امر مرفوض يجب الوقوف في وجهه"(اللائحة 1990).*

اما الاهم فهو البند العاشر من اللائحة الاعتقالية والذي يوضح بما لا يدع مجالا للتأويل العلاقة الجدلية والوثيقة للأسرى كمجموع ومؤسسة اعتقالية بالمؤسسة الوطنية الام منظمة التحرير الفلسطينية، شكلا ومضمونا، بحيث تغدو هذه المؤسسة الاعتقالية هي الرديف والمعبر عن منظمة

[18] المقصود بها اليات التي يتم التعامل بها فيما اذا رغب احد اعضاء تنظيم معين التحويل لينتمي لتنظيم آخر داخل السجن هناك اصول تنظيمية لها.

التحرير داخل الاسر، وبالتالي تكتسب المؤسسة الاعتقالية محتوى الكيانية السياسية للجماعة الهويانية داخل الاسر:

"المؤسسات الاعتقالية الاساسية كلجنة الحوار واللجنة النضالية العامة، يعتبر حق المشاركة فيها فقط لفصائل م.ت.ف او من يعترف بـِ م.ت.ف كممثل شرعي ووحيد للشعب الفل/ وبرنامجها السياسي على اعتبار ان مجمل النشاطات التي نقوم بها ليست مقتصره على مسائل ادارية داخلية فقط بل تتعدى ذلك ليأخذ نشاطها بعدا سياسيا وفكريا ينسجم مع م.ت.ف". (اللائحة 1990).

أي أن الاسرى يروا مؤسستهم الاعتقالية ليست مجرد شكل تنظيم اداري ينظم الحياة بل الاهم هو مضمونه وبعده السياسي والفكري المرتبط بالمؤسسة التي تعبر وتمثل الشعب الفلسطيني منظمة التحرير الفلسطينية.

لقد تم التعامل مع هذه الوثيقة بشكل مركزي في كافة السجون وكانت تركيبة ومهام اللجان المختلفة هي موحده في كافة السجون ولدى كافة المنظمات الأسيرة، بل وألحق كل سجن ديباجة خاصة احيانا بالسجن المتواجد فيه تأكيداً على التزام بها، او القيام بالملخصات وتوضيحات حول آليات عملها فمثلا في سجن غزة المركزي وعلى إثر اضراب الحركة الاسيرة في كافة السجون في العام 1992، عملت التنظيمات على صياغة اتفاق حول تركيب ومهام اللجنة الوطنية العامة بشكل خاص وذلك لتعثر سابق في وجود المؤسسات الاعتقالية الموحدة، هذه الاتفاقية حملت روحية اللائحة الاعتقالية الاساسية الموسعة، وجاءت نتيجة ادراك الكل الاعتقالي أنّ دون وحده الحركة الاسيرة ستبقى الامور مفككة وسيبقى جموع الاسرى هشة ومعرضة لاستهداف الادارة،

وهذه هي التجربة التي حكمت سجن غزة لفترة طويلة، وقد سجلت الحركة الأسيرة في سجن غزة المركزي هذا النقد لواقعهم في ديباجة /مقدمة الاتفاق الوطني (سجن غزة 1992):

" .. ان تجارب الحركة الوطنية الفل/ الاسيرة في كل مواقع الاسر عبر السنوات الطويلة اثبتت بصورة قاطعة حيوية الانتظام ضمن مؤسسة اعتقالية لما لذلك أهمية ونتائج مثمرة وفعاله، سواء على صعيد توحيد جهد الاطر التنظيمية المتباينة في الموقف السياسي، وتصليب اللحمة الوطنية داخل الموقع، او على صعيد مجابهة سياسات مديرية السجون واداراتها.... ولكن للأسف الشديد ولاعتبارات وملابسات عديدة استثني موقعنا من هذا التقليد الوطني الحيوي، مما أدى إلى معاناتنا من العديد من الاشكالات سواء على الصعيد الوطني الداخلي(ضعف العلاقات الوطنية- غياب فهم اعتقالي- تقوقع طل تنظيم على نفسه) او على صعيد الادارة (تعدد التمثيل- تغليب المصلحة الخاصة على العامة- ضعف الموقف امام الادارة- سهولة تمرير الادارة لإجراءات غير مقبولة)".

اما لدى الاسيرات في سجن الرملة فقد اوضحت الاسيرة عايشه عوده أنّ البدايات حتى نهاية الثمانينات لم يكن هناك مؤسسات اعتقالية على غرار منظمات الاسر المختلفة، بل لم يكن هناك فرز تنظيمي واضح على اساسه يتم اتخاذ القرار، بل كانت اشبه بالحياة الجماعية والقرار الجماعي:

"اللجنة الوطنية تنظم حياتنا الداخلية وتنظيمها كان قائم على كيف نبقى محافظين على تماسكنا على حيويتنا الفكرية، مثل وضعنا قائمة من الكتب لازم نناقشها مع بعض، لجنة للإشراف على الكانتين وتوزع الاشياء على الجميع دون استثناء، وفي قضية كنا جميعنا نناقش كيف بدنا نعمل بها، ونأخذ القرار بشكل مشترك بغض النظر من أي تنظيم فتح او الجبهة الشعبية". (عودة 2014).

في الثمانينات بدأ الوضع بالتنظيم بعض الشيء، ترسخ اكثر ما يكون اثناء الاضراب عن العمل المنتج والذي هو ايضا تأخر انجازه لدى الاسيرات عنه لدى الاسرى (الفاهوم 1985). لكن سرعان ما انتهت التجربة مع تحرر معظم الاسيرات في تبادل الاسرى في العام 1985. ليأتي الجيل الثالث بعد ذلك من الاسيرات الذي حاول ايجاد نوع من التنظيم الداخلي وتنظيم الاضراب الشهير في العام 1988 والذي طالب بالانفصال عن الاسيرات الجنائيات الاسرائيليات في سجن منفصل والتعامل مع الاسيرات كجزء من الحركة الاسيرة في كافة السجون وضمن نفس المعايير (أبو دحو 2012)، وكان للأسيرات ان نجحنّ بالإضراب وتم نقلهن الى سجن على الساحل الفلسطيني قريب من مدينة نتانيا واسمه الشارون(هشارون/التلموند)، اتاح الوضع الجديد للأسيرات ومع تصاعد الانتفاضة الفلسطينية الاتصال بالأسرى في السجون الاخرى، وايضا بالتنظيمات خارج الاسر، وهناك بدأت عملية بناء المؤسسات الاعتقالية والتي تحاكي مثيلاتها لدى الأسرى، وحصلت في العام 1990 الأسيرات على اللائحة الاعتقالية المعمول بها في كافة السجون وبدأت العمل وفقها:

> *"منذ اليوم الاول شرعنا في تنظيم انفسنا وفق الاصول الاعتقالية للحركة الاسيرة، غرف خاصة بكل تنظيم، تشكيل لجنة وطنية ولجنة حوار مع ادارة السجن، عاملات في المردوان لتوزيع الطعام وتلبية احتياجات الاسيرات داخل الغرف، ومن حظنا ان هذا السجن كان يحوي ايضا بالقسم المجاور لقسمنا سجناء الانتفاضة من الاطفال، وعبرهم كان اتصالنا مع السجون المختلفة وايضا بطرق شتى، وارسلت لنا منظمات الاسر اللوائح والانظمة الداخلية الناظمة لعمل التنظيمات واللجان، وكان اول شيء اثار ضحكنا المتواصل يوم اكتشفنا ان هناك عدد محدد من المناسبات الوطنية يضرب فيها الاسرى عن الطعام، وكنا في سجن الرملة نضرب*

تقريبا مرتين في الاسبوع وذلك التزاما بقرارات القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة" (أبو دحو 2012).

اخيرا يقول الاسير حتم الشنار ويلخص الدافع لكل هذه الاجراءات والتطورات في المؤسسة الاعتقالية والتنظيمات:

"الحاجة ام الاختراع، الروح الجماعية وتطويرها لها اسس ناظمة ومتعارف عليها ومرشد للعلاقة. لازم ان يكون هيكل ويحرك الهيكل واجبات وحقوق اسس مرجعية" (الشنار 2014).

الروح الجماعية في خضم الصراع دفع الجماعة الاعتقالية لخلق مجتمع خاص يساهم في الحفاظ على الذات وعلى الهوية، وفيه الحياة التنظيمية هي إحدى الاسس والرموز التي عليها بنيت هذه الهوية الجمعية الوطنية وفي مركز الحياة التنظيمية كجماعة كانت المؤسسات الاعتقالية رمز للهوية الوطنية بغض النظر على التوجهات الفكرية والسياسية لأفراد المجموعة، طالما ان الارتباط والانتماء الاوسع والاشمل هي قضية النضال من اجل تحرير الوطن.

وان وجود التنظيم والانتظام وسيلة للحفاظ على الذات الوطنية والانسانية والوجود الوطني والثوري للأسرى، هو اذابة الفرد في الجماعة من اجل مواجهة سياسية العدو واجراءاته (السجن ليس لنا 1985)، هكذا يعرف ويرى الاسرى عملية الانتظام ضمن مؤسسات الأسر الاعتقالية التنظيم، اللجنة الوطنية، واللجان المختلفة، كرمز لوحدة الجماعة وتماسكها.

ونختم بالتأكد عل ما ورد على لسان الاسير حاتم الشنار(2014):

"صعب ان تعيش حالة فردية، من حقنا الخبز، الطعام، لكن الاساسي المصلحة اعمق ودوافعنا جذرية اكثر والا لما دخلنا المعتقلات، والمشاركة في العمل

الوطني، هو استراتيجي ولا نفعي...الحياة الجماعية مصلحة الاسرى، العزوة الجماعية والتنظيمية ضرورية, التأكيد على ان القمع والاضطهاد يقرب ويشد الناس ويحولهم لقوة واعية ومصالح مشتركة وسياسة وانظمة وهذا ضروري في حياتهم".

وهذا يتفق مع كل ما جاء به الباحثين خاصة في الشأن الفلسطيني والهوية(Khalidi 1997 ، رفيدي 2009، .. وآخرون)، بأن الارهاصات لخلق الجماعة الفلسطينية ومجتمعها المقاوم قائمة ولكن الصراع مع المشروع الصهيوني الاحتلالي عزز هذه الهوية الجمعية لمواجهة القوة المقابلة، ولتشكل المؤسسة الاعتقالية ونوعية الكادر والجماعة المنتظمة ادوات ورموز لتعزيز هذه الهوية.

الفصل الثالث

البرنامج الثقافي " جبهة صياغة الرؤية":

يستعرض هذا الفصل أبرز مفاصل البرنامج الثقافي الذي كان قائما لتعبئة الأسرى، واهم الملامح الثقافية المختلفة والتي بمجملها استلهمت واكدت على القضايا الوطنية ذات العلاقة بتعزيز وتأكيد الهوية الوطنية مثل النكبه، الثورة الفلسطينية، الانتماء للقومية العربية، للشهداء، والعديد من الرموز الاخرى، والتي تصوغ كلها الرواية التاريخية الفلسطينية، التي هدفت لصقل شخصية واعية لماهية الوطنية والنضالية كإنسان فلسطين مناضل وفاعل في النضال الوطني.

> *" السجن مدرسة.. هذا امر واقعي يلمس عند اسر المقاومة الفلسطينية في سجون العدو الاسرائيلي، بل ان الدور الفكري والتأسيسي الذي تقوم به السجون قد غدا مسألة بارزة وشاسعة في تاريخ الحركات الثورية والوطنية في العالم"(جابر 1979).*

ان ادراك الاسير بانه في موقع نضالي متقدم وأن الاعتقال ليس الا فترة يعيد بناء ذاته بها لكي يخرج أكثر صلابة وقوة لاستئناف نضاله خارج الاسر، هذا جعل من الأسرى خلية نحل في إعداد ليس الكادر فحسب المناسب لحياة نضال ما بعد الاعتقال، ولكن ايضا السجون شكلت إحدى القواعد الأساسية في مد التنظيم خارج الأسر بالمنشورات والنشرات التي ساهمت بدورها في عملية التثقيف الداخلي والتنظيمي للحركة/ للحزب. وهذا عزز اكثر من احساس، بل ادراك، الاسرى لدورهم النضالي وان السجون ليست قبور بل مدارس ثورية كما اطلقوا عليها (السجن ليس لنا 1985). بل يذهب الاسير قدري ابو بكر(ابو بكر 2014) الى حد يصفها بالجامعة لتنوع ما كان يدرس فيها والوقت والمجهود الذي يبذل لبناء المناضل. ويضيف عوني فارس

(فارس 2012) وهو ايضا أسير محرر ومع حلول أواسط الثمانينيات، كانت سجون الاحتلال قد خرَّجت العديد من الكوادر في مختلف المجالات الفكرية والثقافية.

شكل البرنامج الثقافي أحد الاعمدة الثلاث في الحياة الاعتقالية للأسرى، وهو برنامج بدأ من اللاشيء أي بلا أوراق او اقلام ومراجع، لينتهي بعد اعوام الى برامج متكاملة لمجمل الحركة الاسيرة، ولكل تنظيم على حدى وكما يراه مناسبا.

نبعت اهمية التثقف والتثقيف في الاعتقال من عدة مسائل: عدد كبير من الاسرى لم يكن متعلما، وكان بحاجة ليتعلم اولا القراءة والكتابة، استغلال الوقت بشكل مفيد، وكان في عملية التثقف والتثقيف مسألة لها علاقة بخلق حالة من التكيف مع الوضع وادراك لماهية الاعتقال، وادراك لدى قيادات الاسرى بأن النضال لم ينتهي لمجرد الاعتقال وانما يوجد تحدي اعظم هو الحفاظ على الذات الوطنية والانسانية أمام عدو يريد أن يكون السّجن أكياس حجرية تدفن الانسان الفلسطيني حياً, يؤكد على ذلك الأسير عدنان جابر بأن العدو سعى لكي يرى الندم على وجوه وألسنة الأسرى الفلسطينيين، ومن خلال خلق حالة من الظروف الصعبة والقاسية ولكن رغم ان الجسد مقيّد إلا أن الفكر حر وطليق، وان المعتقلين قد اصبحوا اكثر وعيا وصلابا وتحديا ومناضلون يعرفون ما هي قضيتهم وما الذي يناضلون من اجله، دخلوا اميين فأصبحوا قادرين على القراءة والكتابة بل الابداع ايضا والقدرة على فهم حتى اصعب الكتب.(جابر، 1997).

وعندما نقول ان حالة التثقيف قد بدأت من الصفر لتنتهي حالة رسمية منظمة نعني على سبيل المثال انه في العام 1969 وفي سجن عسقلان يمكن رصد مجمل ما يمتلكه الاسرى من مواد ثقافية بمصحف وقصة او قصتين، في غرفة 11 المناضلون يتسابقون على قراءة كتاب شعر

وحيد لأبي قاسم الشابي. أما في فترة الفورة فكان التحدي الاكبر حيث يهرب الاسرى معهم من ساحة الفورة الحصى الصغيرة لاستعمالهم قلم، فيما أرضية الغرفة وهي من الباطون شكلت الورقة، وبهذه الطريقة ختم العديد من الاسرى محو أُميتهم.

عندما يتفكر الاسرى في أهداف العدو لنفي الاخر الفلسطيني، ينتصب امامهم اهمية البرنامج التثقيفي والدور الذي يلعبه، في عملية مقاومة هذا النفي نحو اثبات الوجود، واحدى اليات النفي لإدارة السجون هي ايصال المعتقل حالة من الندم لما قام به من اعمال مقاومة كما ذكرنا سابقا، وتلبسه لحالة من الخنوع والخضوع لواقع الحال للعدو كحالة اقوى وغير ممكن مقاومتها، الا ان الاسرى عبر تثقيف ذاتهم يزدادون معرفة وقناعة بقضيتهم ولماذا يقاتلون، وكيف يواجهون محاولات نفيهم، وهنا يرى الاسرى ان النضال على الجبهة الثقافية هو ليس واجب بل ضرورة ومستحق لأجل خلق واقع افضل واليات مقاومة وصمود في الاسر، لذا ناضل الاسرى طويلا من اجل الحصول على الكتب والمواد الدراسية والقرطاسية، ان جبهة الثقافة كانت بالنسبة لهم بنفس اهمية النضال لذلك سموها "جبهة الثقافة"، وخاضوا من أجلها الاضرابات والتحديات(جابر، 1979).

اتخذت ادارات السجون سياسة عنوانها ليس فقط تجهيل وحرمان الاسير من اية ادوات او مواد ثقافية يمكن ان تسهم في رفع الوعي الوطني والمعرفي على اتجاهات مختلفة، انما ايضا السياسة كانت موجهه باتجاه "معرفة مشوه" (السجن ليس لنا 1985) بمعنى ان ما يمكن ان يقرأ ويتوفر للقراءة قد يشكل منحى التفكير، خاصة في ظل واقع مغلق ومحاصر، فقد عمدت إدارات السجون لتوفير كتب أولا ذات صبغة واحده في اغلبها دينية تقود الى الرضى بواقع الحال على اعتبار انه

محنة ربانية وليس اقع احتلالي، فيما الصحف اقتصرت على الإسرائيلية والتي لا تمجد إلا واقع الاحتلال، وخاصة جريدة الانباء وهي بإشراف المخابرات الاسرائيلية، واخيرا بعض الكتب المتنوعة من التاريخ وعلم النفس البرجوازي (السجن ليس لنا 1985) التي تقود الى الى استنتاجات هي ايضا تمجد قوة العدو على حساب المقاومة. وقد امعنت ادارة السجون في محاولات استخدام الثقافة لإخضاع الاسير عبر احضار محاضرين من الجامعة العبرية واعضاء كنيست كي يحاضروا في الاسرى عن التاريخ والسياسة، إلا ان الاسرى ورغم امكانياتهم المتواضعة ثقافيا خاصة في السنوات الاولى للأسر فقد وقفوا بنقاشاتهم سدا منيعا امام نجاح هكذا سياسة، اضافة لمقاومتها بكل الوسائل والعنيفة منها ما ادى الى تراجع ادارات السجون عن هكذا سياسة اعطت نتائج عكسية عما ارتجته. لقد كانت الكتب ولسنوات ممنوعة الا عبر ادارات السجون وما تراه مناسبا للأسرى، فعلى سبيل المثال كافة الكتب الفلسطينية والكثير من الكتب وحتى الروايات العربية والعالمية ممنوعة، مثلا طال المنع رواية نجيب محفوظ بين القصرين، فيما الصحافة العربية كذلك ممنوعة، وقد فرضت ادارة السجون رقابة عالية على الكتب التي تدخل عبر الصليب الاحمر، بحيث لم تتعدى الكتب الدينية وتعلم اللغات (السجن ليس لنا 1985)، وقد استمر الوضع كذلك حتى العام 1979عندما سمحت ادارة السجون لكل أسير بإدخال كتاب واحد شهريا، وحتى بهذا الانجاز للأسرى بقي محكوما بعملية الرقابة العالية على الكتب واسمائها والتي احيانا تصادر لطبيعة الاسم وليس لمضمون الكتاب، الا انه بنفس الوقت شكل متنفسا للأسرى في الانكشاف على ثقافة تناسبهم وتساهم في رفع درجة الوعي لديهم(السجن ليس لنا 1985).

حتى العام 1970 لم يكن هناك اقلام او دفاتر/ وكان يعمد الاسرى الى الحصول على الاقلام بطرق او بأخرى غير قانونية، فيما كان ورق علب الدخان "الون" يشكل الدفاتر التي سيكتبون عليها، لقد شكلت الادوات الاولى البدائية والشحيحة ادوات التثقيف والتوعية الاولى، وعليها الاسرى تعلم عن الثورات والقضية ومعنى "الثورة".

كانت جبهة الثقافة بالنسبة للأسرى ليست مجرد فك طلاسم الحروم وتعلم القراءة والكتابة، بل ان الاسرى كانوا على يقين بأن المتعلم شيء والمثقف شيء آخر. المتعلم من يقرأ ويكتب ولديه معرفة في حل ما، بينما المثقف شيء آخر تماما، لذا كان انتاج مثقف تعني بالضرورة تعلم الكتابة والقراءة أولا لمن لا يعرف، ولكن الجهود الذاتية والتنظيمية يجب ان تنصب في اتجاهات عديدة من القراءات المختلفة في السياسة، الفكر، التاريخ، تاريخ الثورات والاحزاب الثورية، الادب العالمي، والأدب العربي والفلسطيني، واللغات، والاقتصاد، والفن.

وعملية التثقف والتعلم بالنسبة لهم تؤتى جدواها بعملية انتاج الثقافة ايضا، لذا انتشرت في السجون ولكافة التنظيمات مجلات داخلية تنظيمية وثقافية متنوعة يكتب الاسرى فيها بالسياسة، والتنظيم، وتاريخ النضال، وتجارب الشعوب، ومآثر الشهداء لتشكل عبرة وشحذ للهمم.

واضافة للجلسات التنظيمية، هناك البرنامج الطويل من الجلسات التثقيفية والتي ايضا تناولت وبالتفصيل العديد من العناوين السالفة الذكر. لقد كانت على سبيل المثال جلسات التحليل السياسي تعبر عن عمق متابعة الاسرى للشأن الفلسطيني والعربي والدولي، رغم شحة مصادر المعلومات المتاحة، فإلى وقت ليس بعيد لم يكن يحظى الاسرى على مصدر معلومات كالراديو مثلا، او

جرائد بصورة منتظمة، إلا أنّ الأسرى لم يعدموا الوسيلة لتصيد الاخبار ومتابعتها، عبر تهريب راديو ، او جريدة، او تلقتوا الاخبار اثناء الزيارات والمحاكم.

ليس ذلك فحسب وانما التفاعل الطويل بين الاسرى ومن مختلف التنظيمات اوجد حالة التبادل المعرفي والجدل الفكري والسياسي وحتى الفلسفي، كل ذلك مجتمعه أفضت إلى خلق حالة من التحول الفكري لدى الاسرى نحو مفاهيم اعمق لعملية الصراع والنضال ضد الاحتلال، والأهم لفهم اعمق لماهية الثورة التي تقود هذا الصراع، بالنسبة للأسرى جبهة الثقافة كانت من الاعمدة المركزية في العمود الفقري لحياة الاسر وتثبيت الذات الفلسطينية والهوية الوطنية امام المحاولات التي لا تكل من ادارة السجون لقهر الذات الانسانية والوطنية للأسير. لقد غدت وبتعبير الاسرى ولاحقا التنظيمات والجماهير جامعة ثورية، تخرج الانسان الفلسطيني الواعي والمثقف والمناضل الثوري الذي تحتاجه الثورة للانخراط مجددا في خضم العمل التنظيمي والمقاومة، يستذكر ذلك الاسير حاتم الشنار:

> *" في عسقلان كان هناك حرب شعواء من ادارة السجن على النشاط الثقافي ولكن لم يكن هناك خضوع. وبرغم المنع. فقط كان يصلنا جريدة الانباء الصهيونية. ولكن بالنسبة لنا محور اساسي هو الثقافه وهي من اهم القضايا المطلبية. كان من المهم مواكبة التطورات والصلة مع الخارج. البرنامج الثقافي مسألة حياة او موت، تأكيد على الصلة بالقضية ..وليس مجرد ترف او تزجية بالوقت . بل نحن جزء من العالم من الشعب الفلسطيني وله سنعود لنكمل نضالنا" (الشنار 2014).*

لقد تعامل الاسرى وعلى مدى السنوات الطويلة بان الجبهة الثقافية وسياسة ادارة السجون وعنوانها "الحرمان والتجهيل" كجزء من المخطط الاحتلالي الاكبر في مس ومحو الهوية الوطنية (السجن ليس لنا 1985: 118)، ولذا كان عليهم ايجاد الطرق وعبر نضال علني وغير علني مشروع وغير مشروع الوسائل والطرق حسب قواني ادارة السجون، لكسر هذا الحصار والتجهيل المفروض عليهم والحظر لأية ثقافة وطنية. التهريب للمواد الثقافية كانت مسألة مهمه وخاصة جهاز الراديو الذي يقوم احد الاسرى بمتابعة رصد الاخبار بواسطته ومن ثم تعميمها، يعلق على الطُرق الأسير قدري ابو بكر:

" قبل ذلك كنا نحصل على الراديو تهريب وفقط كان لدينا محول الراديو ليس كل الجهاز، وكان هناك سماعة صغيرة، يسمع بها صوت الثورة من بغداد نكتبها ونوزعها كانت بالنسبة لنا صوت الثورة ناطق باسمنا. ونكتب ونوزع على الجميع"(ابو بكر 2014).

الراديو المهربة والاخبار المرصودة عبره والتي كانت الصلة الوحيدة احيانا وخاصة في ظروف العزل للأسرى مع الخارج ايضا الاسيرات كانت لديهم راديو مهربة ولم يختلف الوضع عن ذلك، بالنسبة للأسيرات كانت فرض ثقافة وطنية رغم انف السجان مسألة مهمة ونضالية بالدرجة الاساسية، هذا اذا ما اعدنا التأكيد ان الجريدة الوحيدة التي كان يسمح للأسرى الحصول عليها هي جريدة الانباء الناطقة بلسان حال الاحتلال:

" لم يكن لدينا أي شيء من وسائل الاتصالات، فقط هربنا ترانسيستور(الراديو) وكانت شغلتنا نخبيه، ونسمع له لما نحتاجه، كانت بالنسبة لنا قضية نضالية كبيره ان نسمعه خاصة لما حصلت حرب 73 عرفنا الموضوع من الترانسيستور، لأنه الاسرائيليين لا يسمحوا لنا ان نعرف شيء، كانوا بالعادة يسمعونا أخبار على

الساعة السادسة والنصف، ولكن اذا كان في احداث يسكروا حتى لا نعرف ونصير نتحزر، والجريدة الوحيدة التي كانت تجينا هي جريدة الانباء ايضا يمنعوها عنا، ونصير نخمن ماذا يحصل، والتواصل بين الاهل في مراقبة شديدة اثناء الزيارة، كل اسيرة كانت على راسها سجانه عند الزيارة وتتدخل، وبالتالي في هكذا وضع كنا كثير محصورين، وتواصل مع الخارج قليل جدا، الزيارة فقط للأقارب من الدرجة الاولى، وفي فترة كان مسموح فقط واحد مسموح، وعملنا اضراب من اجل ان تتغير، واستطعنا الحصول على زيارتنا 3 كبار و3صغار".(عودة 2014)

اختلفت السجون من عسقلان الى السبع الى جنيد والرمله حيث الاسيرات، واختلفت التنظيمات من فتح الى الجبهة الشعبية، ولكن الجميع يرى ويفلسف مسألة الثقافة بنفس الاتجاه النضالي وبضمن نفس الظروف ، ويفكر في الآليات التي تساعد على الابقاء على حالة الاتصال مع الخارج قائمة ليس فقط لكسر العزلة في الاسر وإنما قناعة أن دورهم لم ينته وان في الخارج بعد التحرر من الأسر المهمات النضالية ما زالت تنتظرهم، وهذا ما يؤكد عليه ايضا الاسير الشنار:

"والاخبار كنا، نخذها عن راديو مهرب. وحصلنا عليه شرعيا بعد اضراب 1984. كنا نستمع للإخبار ونعممها، وهي تعيدنا لشعبنا وانسانيتا وعائلاتنا. ونفشل من خلالها اهداف عملية الاعتقال. والاحتجاز غير القانوني... لم نفكر بالأحكام لأنها باطلة وغير قانونية، وكان الاصرار على خروجنا من المعتقل. مقومات الحياة بما فيها حق طبيعي....نحس فيه..!!!الثقافة ليست محصورة في جانب واحد، حق الحياة والخروج من المعتقل .....المعتقل أزمة مؤقته في حياة المناضل.. وتنتهي، سيعود الى العالم الواسع واستكمال حياته النضالية وسط رفاقه واهله". (الشنار 2014).

ويضيف ايضا كتعريف لدور الثقافة في السجن وعلاقتها مع الخارج منذ بدايات التثقيف خاصة لأولئك اللذين ستنتهي احكامهم سريعا ويتحررون من الاسر:

" كان في سجن نابلس بداية للبرنامج الثقافي وكان تنبع الاهمية من ان سجن نابلس كان في اغلبه للأسرى الموقوفين والاداريين وبالتالي البرنامج الثقافي كان بمثابة تأهيلهم للخروج خارج المعتقل"

التثقيف والهوية الوطنية:

لقد استهدف البرنامج التثقيفي حسب ما يعني واضعوه خلق وعي ذو ابعاد وطنية وعربية ونضالية، وخلق شخصية مدركة لواقعها ليس الاعتقالي الضيق فحسب، بل الافق الارحب عالم النضال الوطني، وارتباطه بالحق التاريخي عبر المحطات الاساسية والمركزية لنضال الشعب الفلسطيني ضد المشاريع الاستعمارية المختلفة، وضمن رموز للهوية الوطنية واضحة المعالم يتصدر النضال على الارض من ثورات وتضحيات معالم بارزة لهذا النضال، فلا عجب ان نرى سجن جنيد يسمى "قلعة الشهيد ابو جهاد" وسجن غزة "قلعة الساحل" في اشارة للساحل الفلسطيني حدود فلسطين الغربية، حتى التنظيمات سمت منظمات الاسر بأسماء شهدائها مثلا " منظمة الشهيد حسان عليان" في سجن عسقلان[19] ، اسماء الشهداء تحديدا هو الرمز المركزي لتسمية اية منظمة، خلية، مجموعة، سجن. والسجن ايضا يتم تسميته وفق للشهداء او لموقعه مثلا غزة قلعة الساحل بينما جنيد قلعة ابو جهاد. كلها رموز انما تعكس الهوية الوطنية ودلالاتها، ولذا نؤكد هنا

[19] سمي سجن جنيد بقلعة الشهيد ابو جهاد للدور الذي لعبه الشهيد خليل الوزير ابو جهاد في الانتفاضة الفلسطينية الاولى حيث يعتبر احد رموزها وكان المسؤول المباشر عن منظمة فتح وقيادتها في الارض المحتله، والشهيد حسان عليان، هو احد الاسرى المحررين في تبادل 1985 وقامت قوات الاحتلال باغتياله لاستمرار نشاطه بعد التحرر. وهناك اسماء عديدة، فيما سمت اسيرات فتح منظمتهن نسبة الى الشهيدة دلال المغربي، واسيرات الجبهة الشعبية نسبة للشهيدة شادية ابو غزالة والسجن قلعة شهداء عيون قاره. (الباحثة)

ان هذه الرموز غدت معلما بارزا في تشكل وتعزيز الهوية وهذا ما يتفق معه منظرو الهوية أن بالمحصلة الهوية هي مجموعة رموز.

ويمكن تلمس ذلك من خلال ما يراه حاتم الشنار، ويلخصه بطريقة مكثفة حول نوع الثقافة، اهميتها، اهدافها لمن موجهه، أي مضامين هذه المدرسة الثورية للمقاومة:

> *"اما البرنامج نفسه فكان التركيز على الوطنية الفلسطينية وتاريخ الشعب الفلسطيني ومأساة الشعب الفلسطيني في حروب الحركة الصهيونية وهي حرب استعمارية بامتياز. هذه الفترة من الاعتقال استغلالها لإكساب الكوادر الوعي السياسي والثقافي العام بوعي افضل والاستفادة من العمل المقاوم وتدريسها . توثيق التجارب، سجن نابلس كان مدرسة طلاب توجيهي، طلاب جامعات وهذا في بداية 1969 وكنا نؤهل لذلك ولكن ليس فقط تأهيل اكاديمي كان هناك التأهيل النضالي. كان هذا التثقيف مستهدف، كانت الادارة تصادر الكراسات، وكان هناك صحيفة داخل المعتقل اسمها "صوت الثورة" وكان هناك ايضا صحيفة لليسار ومن خلال الصحيفة كان يتم تداول وتناول القضايا السياسية والاخبار وكانت المواد تعتمد على الخبرات وكنا نعمل كراسات. السجن هو مدرسة ثورية. هو حقيقة مدرسة والحياة مدرسة وهو مقطع من الحياة ، كنا بذلك نلملم الجراح عبر المقاومة اليومية". (الشنار 2914).*

ان تركيز البرنامج على (الوطنية الفلسطينية) و (تاريخ الشعب الفلسطيني) و(مأساة الشعب الفلسطيني) لا يعدو كونه سوى بناء للرواية الفلسطينية جوهر الهوية الوطنية.

اما لدى الاسيرات فالبرنامج الثقافي كان برنامجا جمعيا في البدايات حيث هناك مجموعة من الكتب يتم نقاشها ولها علاقة برؤية الاسيرات للهم الوطني والقومي العام:

"الجلسات والمناقشات والكتب..الخ هي التي تعطي الحيوية داخل السجن، وابداع وتقوينا من الداخل، مثلا يوم الجمعة جلسة للجميع لمناقشة كتاب ما مثلا ما تبقى لكم لكنفاني او رجال في الشمس، ارض البرتقال الحزين، قصص عالمية...فالكل تقريبا يلتزم، اضافة لذلك كنا عاملين مثلا ندرس، محددين مثلا توجيهي، محو امية، حتى السجينات الفلسطينيات/ الاجتماعات ندرسهم وندير بالنا عليهم وندرسهم، كنا نحس بمسؤوليتنا تجاههم ويعنينا ان يقفوا لجانبنا وكانوا ساعدونا، وحتى انهم انضموا للإضراب معنا بإرادتهم". (عودة 2014).

اما الحال بالنسبة لتنظيم فتح لم يختلف، وبل ويصب بنفس الفكرة حول مفهوم الهوية الوطنية والثقافة الوطنية:

"كنا ثقافيا نركز على محو الامية الوطنية في القضية الفلسطينية والصراع بيننا وبين اسرائيل، لماذا وصلنا الى هنا أي الى السجن ولماذا نقاوم وكيف يتعزز نضالنا وكيف نصبح عقائديين. عقائدي وطني عربي. كنا ندرس مرحلة التحرر الوطني ، بحاجة لتوحيد الجهد. ندرس ليس فقط عن اليهود كاحتلال، بل من تاريخ الحركات الاستيطانية وقبلها وعن بلفور ومؤامرة بريطانيا بإعطاء فلسطين وطن قومي لليهود....اضافة للتدريس عن منظمة التحرير الفلسطينية، المبادئ لها 33 او 34 نحفظها عن غيب واستراتيجيتها، كل تصريح نعطي عليه محاضرة ونعلم من يريد ان يؤثر في القضية الفلسطينية". (ابو بكر 2104).

ويضيف ايضا الاسير المحرر عمر البرغوثي (البرغوثي 2014)[20]:

"البرنامج الثقافي والخاص في حركة فتح وفي بداية انتظام البرامج الثقافية ركز على تجارب الثورات، من الفيتنامية الى الكوبية ومجمل امريكا اللاتينية.. والصين، لقد تمت دراساتها بعمق وكلمة كلمة ومنها تم تعلم الكثير.. اعطت بعدا اضافيا لنضالنا ولانتمائنا ولرؤيتنا الثورية والوطنية.."

[20] عمر البرغوثي من قرية كوبر، اسير محرر في صفقة التبادل في العام 1985، وقد اعيد اعتقاله عدة مرات خاصة اعتقالات ادارية، آخر مره حرر من الاسر حتى كتابة هذه السطور، كانت العام الماضي.

فيما يؤكد قطامش(2012)، ان التثقيف لدى الجبهة الشعبية في بداياته كان يصب في تعزي الهوية الوطنية كفكر قومي، خاصة ان الجبهة الشعبية كانت ما زالت في بداياتها كإطار وليد عن حركة القوميين العرب، نمت وانطلقت من رحم هذه القومية:

" غلب على تثقيف الجبهة الفكر القومي التحرري، مع بدايات للتثقيف الاشتراكي واقبال على قراءة الادب والتجارب الثورية".

ما بين الوطني والسياسي والفكري.. استحضار رموز الثقافة للهوية الوطنية

تنوعت الاشكال التثقيفية ومصادر المعلومات، بعضها كان عبارة عن رصد للأخبار من الراديو، ولاحقا بعد العام 1985 من التلفاز مباشره، ومن الصحف. وهذه بالمجمل كانت رصد للإخبار السياسية، فعند النظر الى كراسات حركة فتح في السجون[21]، لا يمكن إلا ان نلحظ عشرات الكراسات التي وثقت كل ما جاء في اذاعة صوت الثورة من بغداد من اخبار سياسية وخطابات لياسر عرفات وقادة آخرون، بحث تشكل هذه الكراسات الان مادة ممتازه لتوثيق تاريخ سياسي طويل للثورة الفلسطينية من وجهة نظر اذاعة صوت الثورة، وكانت هذه الكراسات يتم نسخها وتوزيعها على كافة اسرى فتح حيث يتم استعراضها ونقاشها، وكنا سابقا قد ذكرنا كيف ان حركة فتح ركزت على السياسي بدرجة كبيرة. وثم هناك ادبيات الحركة أي مقررات الحركة، الانظمة واللائحة الداخلية والتي على العضو التعرف عليها وحتى حفظ كافة بنودها كما أشار لذلك الاسير ابو بكر(ابو بكر 2014). وثم هناك الكتب المختلفة للثورات وللقضية الفلسطينية وللتاريخ

[21] يمكن الحصول على هذه الكراسات من ارشيف الحركة الاسيرة والذي يتواجد القسم الاكبر منه في مركز ابو جهاد لشؤون الحركة الاسيرة في جامعة القدس- ابو ديس.

الفلسطيني، وثم تأتي بشكل مركزي المجلة الاعتقالية التي تحوي كل ما سبق عبر ابواب تشابه أي مجلة تبدأ بالافتتاحية والتي لها علاقة اما بأحداث سياسية او اعتقاليه وتمتد لعدة ابواب وقضايا متنوعة سياسية، تنظيمية، أمنية، اعتقاليه وفكريه.، وهذه جميعها تصب في اطار بناء كادر واعي ومثقف على طريق استمرار النضال. مجلات وجلسات ثقافية تستحضر كل ما يمكن من رموز ودلالات تساهم في بلورة الشخصية الوطنية وتعزيز الهوية.

اما البرنامج الثقافي لمنظمات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، اضافة لما يحتويه من تثقيف سياسي وهو ايضا يعتمد على رصد الاخبار وتحليلها، ومتابعة تعميمات المكتب السياسي واي تعميم صادر عن الجبهة الشعبية، هو ايضا يركز على التاريخ الفلسطيني، وعلى الكتب المتنوعة الثقافية وعلى تجارب الشعوب، ولكن يحوي الباب الفكري والتثقيف الماركسي كركن اساسي في عملية التثقيف، واستعراض تجارب الحركات الثورية في العالم خاصة اليسارية منها. وهو ايضا يأخذ هذه المعلومات من المصادر المتنوعة كما هو حال أي تنظيم وينتج ايضا مجلات الاعتقالية الخاصة به، وهي كلها تصب ايضا في بناء الشخصية الوطنية والهوية الموحدة مستحضره الرموز الوطنية من تاريخ وتضحيات ونضال. وفي المؤتمر الخامس لمنظمة الشهيد جيفارا التابعة لجبهة الشعبية في العام 1984 (المؤتمر الخامس 1984) تؤكد على اهمية التثقيف في مواجهة المشروع الصهيوني والامبريالي والرجعي في المنطقة العربية وفلسطين، وتؤكد على ان البرنامج الثقافي يجب ان يساهم في خلق كادر واعي للمرحلة في جميع السجون وليس في سجن دون الاخر أي برنامج ثقافي موحد يحوي شقان، تثقيف مركزي لكل المنظمات الاسيرة للجبهة الشعبية وتثقيف خاص بكل منظمة حزبية، التثقيف المركزية ويتضمن التطورات السياسية

والاجتماعية، النظرية الماركسية اللينينة، الادبيات الحزبية وعمل المنظمة الحزبية، بينما التثقيف الخاص بكل منظمة مثلا المنظمة الفلاحية عليها بالتثقيف في قضايا الزراعة، والريف وظروفه، اما الطلاب على المناهج وتطوريها ومشاكل الواقع الطلابي..الخ من القضايا، ويؤكد المؤتمر ايضا على ان التثقيف مسألة مركزية في نشاط الحزب، يساهم في الحفاظ على الوحدة الفكرية وتطويرها وامتلاك الماركسية– اللينينية وتطبيقها على واقعنا، تطوير الرفاق فكريا سياسيا، وتعبئة قوى الجماهير في النضال الوطني والطبقي.

قراءة في بعض المجلات الثقافية الاعتقالية

لنستعرض ما جاء بإحدى هذه المجلات. تحت اسم "مجلة الثورة مستمرة" وهي ايضا كما لدى فتح مجلتهم اسمها صوت الثورة تيمنا بصوت الثورة من بغداد، تأتي "الثورة مستمرة" تيمنا بالنشرة التي كانت تصرها الجبهة الشعبية لأعضائها في الارض المحتلة : مجلة الثورة مستمرة والصادرة عن منظمة الشهيد الخالد جيفارا غزة /عدد تشرين ثاني 1989:

تتصدر المجلة ديباجة عبارة عن مقولة ثورية ووطنية، وهي شكل من تصدير الكلام سواء كان مجلة او رسالة او تعميم، حيث تحتل الدباجة الثورة والوطنية المحفزة مكانتها في المقدمة وفيها يتم استحضار اما رموز نضالية كالشهداء، او مواقف نضالية او مقولة احد القادة او المناضلين، واحيانا مقولات فكرية.. حسب طبيعة ما سيتم تعميمه، فمثلا في رسالة من اللجنة الوطنية العامة في سجن نفحة الى مجلس الطلبة في جامعة بيت لحم لمناسبة اسبوع التضامن مع الاسرى الذي اقامه مجلس الطلبة كتبت الديباجه التالية:

" الى الاعزاء في جامعة بيت لحم، طلبة وأساتذة وعاملين ومجلس طلبة.../ وطني يعلمني حديد سلاسلي ...عنف النسور ورقة المتفائل... ايها الاوفياء.. اجمل واصدق واحر التحيات نبرقها اليكم من داخل اسوار القيد..من وسط الصحراء القاحله في النقب الفل/ من بين جموع فلاسفة الكبرياء الفل/.. من هناك حيث اكياس الموت البطيء.. والجدران الرطبه.. نكتب اليكم وعيوننا ترنو اليكم بل تصافحكم وتعانقكم جميعا على كل ما بذلتموه وتبذلوه من جهد وطني مخلص في سبيل الوطن وقضاياه العادلة، تعبيرا اصيلا عن انتمائكم جميعا لهذا الشعب تاريخا وحاضرا ومستقبلا، وهذا ان دل فإنما يدل على اصالة الفلسطينية التي تقاتلون من اجلها".(سجن نفحة).

وهنا يمكن ان نرى استحضار كم هائل من الرموز الوطنية للنضال الفلسطيني تاريخيا حتى اللحظة، ورموز تحفيزية وتأكيد على الاصالة الفلسطينية النضالية.

لم تكن مجلة "الثورة مستمرة" بعيده عن ذلك فديباجتها الاولى حملت تأكيد على الثورة، واستحضار لتشبيهات اقرب الى الملحمة الاسطورية الشعرية منها لتعريفات علمية للثورة، وهذا ايضا يظهر في ديباجة الرسالة السابقة حيث فلاسفة الكبرياء وكأنما نحن امام له اسطورية، او امام الهة قديمه موغلة في الغابات الوحشية:

" ان من يعتقد ان الثورة قد افل نجمها فإما ان يكون خائنا او جبانا، فالثورة قوية كالفولاذ.. متوهجة كالشمس.. حمراء كالجمر.. عميقة كحبنا الوحشي للوطن.. الثورة ما زالت مستمرة"

اما فهرست المجلة فاحتوت العناوين التالية، والتي يمكن من خلالها تلمس تنوع التثقيف ما بين السياسي، والفكري والنضالي والتوثيقي للنضال الوطني، غطى الفهرس عناوين تشمل 105

صفحة[22]، وهي بكل المقاييس تعادل أي مجلة عادية مطبوعة تصدر خارج الاسر إن لم تزد عنها.

وقد جاءت عناوينها كالتالي: التقديم/ اولى الكلمات، موقفنا من بولندا والمجر– المانيا الشرقية، ماذا يجري والى اين، شؤون عربية لبنان، شؤون فلسطينية– في ذكرى كفر قاسم، وعد بلفور والذكر المشؤومه، صهيونيات– النظام الاستيطاني، شؤون امنية– الانتفاضة وظاهرة العمالة، في البناء الحزبي– بعيدا عن التنظير– لتحكم الممارسة ولكن القوة الاولى، اعتقاليات– لقاء العدد مع لجنة التمثيل الاعتقالي، بطاقة نضالية– الرفيق الشهيد باسل اليازوري، صور من الانتفاضة– شواهد منيرة، من انتاج الرفاق، زاوية الادب الثوري– شعر نثر اغنية، الانطلاقة على الابواب، الى ان نلتقي.

يمكن اعتبار هذه المجلة نموذجا للمجلات الصادرة عن منظمات الاسر وكانت الثورة مستمرة هي ايضا مجلة مركزية من حيث الاسم والمضامين لكافة المنظمات الاسيرة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ويمكن تلمس شمولية المواضيع التي تحويها على كافة المستويات الأممية، القومية والوطنية والتي تعكس الرؤية الفكرية والسياسة والوطنية للجبهة الشعبية، وبالمقابل وفي قلب هذه المجلة يتربع الهم الوطني والنضالي عبر رموز وطنية تاريخية ليس للجبهة فحسب بل لكل تنظيم وسنرى ذلك لاحقا لدى مجلات فتح، حيث الشهداء رمزا للنضال، وتاريخ فلسطين حاضرا بالمؤامرات عليه كما وعد بلفور، او بالمجازر التي اصابت شعبنا الفلسطيني، في هذه المجلة نرى كفر قاسم حاضرة، وفي مجلات اخرى نرى دير ياسين، عيون قاره، المسجد الاقصى، الحرم

[22] المقصود بالصفحة هي تلك المكتوبة على دفاتر وكراسات بحجم تلك التي يستعملها طلبة المدارس المتعارف عليها لدينا.

الابراهيمي، كلها مجازر منذ الاستهداف الصهيوني لفلسطين وحتى اللحظة، وكلها رموز مهمة في الرواية الفلسطينية. وسير الشهداء ايضا ركن ثابت في اية مجلة تثقيفية بكل ما يمكن ان تحويه المادة ايضا نوع من اضفاء الهالة البطولية الاسطورية على أي شهيد، وتداول مقولات خاصة به تشبه النص المقدس الذي علينا الاحتذاء به، فالشهيد ابراهيم الراعي قال " لن تميتونني، سأبقى حيا"، والشهيد كنفاني قال في مسرحيته الباب: " لن ارتد حتى ازرع في الارض جنتي او اقتلع من السماء جنته او اموت او نموت معا". هم الشهداء والمجازر الرمز الاسطوري والمقدس والمستمر للهوية الوطنية ومقاومتها وتاريخها في علاقة الصراع مع الاحتلال.

اما العلاقة مع خارج المعتقل عبر الابقاء على تواصل الخبر النضالي والتطورات على الساحة الفلسطينية وليس ابلغ من الحديث عن بيت ساحور وتجربة العصيان المدني(فراس 2013) في حينه، المسألة الاعتقالية حاضره، الامنية حاضرة، والتحريض على الاحتلال الصهيوني وتوضيح طبيعته الاستيطانية حاضره، وليس فقط المجلة هي انتاج لجنة ثقافية من كادر متمكن بل هي ايضا مساحة مفتوحه لإنتاج الاسرى الثقافي، ما يلفت الانتباه ان في مقالة التمثيل الاعتقالي وعند استعراضها نرى انها عبارة عن لقاء اسئلة واجوبة للجنة والمكونة في حينه من ولاحقا الشهيد عبد العزيز الرنتيسي احد قيادات حماس والذي اغتالته قوات الاحتلال، سفيان ابو زايده احد قيادات فتح ومعاوني عرفات وعضو لجنة مفاوضات لملف الاسرى في اوسلو، سلام ابو بكره، أحد قيادات الجبهة الشعبية في قطاع غزة، وصاحب تجربة صمود بطولي في زنازين

الاحتلال[23]، وملاحظة اخرى جديرة بالاهتمام، فالشهيد باسل اليازوري الذي كان شهيد العدد من المجلة في العام 1989 هم نفسه كان مشاركا في المؤتمر الخامس لمنظمة الجبهة الشعبية في الاسر في العام 1984، وفق ما جاء في الوثائق واشرنا لها في باب الادوات التنظيمية، وليس ابلغ من ذلك كيف تحولت السجون الى مدارس ثورية كما اطلق عليها الاسرى لاستكمال النضال بعد التحرر من الاسر حتى لو بلغ الشهادة.

اما في استعراض الفهرس لإحدى مجلات حركة فتح في العام 1988، فنرى مجلة صوت العاصفة، وعلى مدى 58 صفحة تستعرض المواضيع التالية: كامب ميرفي الى اين، حكومة المنفى، منظمة التحرير الفلسطينية ولجان الوساطة والمصالحة، دروب الوعي في الامني في العمل الثقافي، الابعاد الحقيقية لحرب العدو المسعورة، الكفاح المسلح في الارض المحتله– تحليل سياسي، لماذا الهروب للإدارة – امني، تحليل سياسي– احداث طرابلس 83، انواع الاعتقال الامنية، بريطانيا والقضية الفلسطينية، ما هي الثورة، الثقافة والعمل الثقافي، الحرب العراقية الايرانية، وفي عدد آخر من صوت العاصفة نرى تتابع للحلقات في المجلة الاولى من حيث موضوع م.ت.ف والوساطة، وماهي الثورة، والمقالة الامنية، فيما يضاف تحليلات سياسة اخرى مثل اتفاق عمان، التحرك السياسي، بل وتتشابه هنا التواريخ واحداث كما هي حال مجلة الثورة مستمرة السابقة الذكر حيث في صوت العاصفة هناك تجربة بيت ساحور والعصيان المدني، وهنا مقالة في ذكرى مجزرة صبرا وشاتيلا بينما هناك ذكرى مجزرة كفر قاسم، هنا عن بريطانيا ووعد بلفور وهناك ايضا هنا وهناك مقالات امنية وتحذير من العملاء، هنا وهناك تعريف واضح

[23] هذه شخصيات غنية عن التعريف والباحثة كانت على معرفة شخصية بكل من سفيان ابو زايده من موقعه بملف الاسرى التفاوضي، وسلام من موقعه كقائد ونموذج يتم تدريسه في الصمود بالتحقيق للأعضاء منظمات الجبهة الشعبية. اما الرنتيسي فهو غني عن التعريف في ذاكرة التاريخ الفلسطيني.

للاحتلال "انه صهيوني"، هنا ايضا تكتب مجلة فتح عن الحضور التنظيمي كمهمة وطنية، وهناك تكتب مجلة الجبهة الشعبية عن البناء الحزبي كمهمة ايضا وطنية محكومة بالممارسة الفعلية. والعلاقات الاخوية والرفاقية هي ايضا حاضرة في الاعداد المختلفة للمجلات,

العشرات من المجلات والكراسات التثقيفية المتنوعة يحيوها ارشيف الاسرى في مركز ابو جهاد ولدى اللجنة الثقافية للجبهة الشعبية في غزة، وكلها عناوين لها دلالاتها ورموزها المرتبطة بالتعبئة باتجاه فلسطين المحتلة تاريخها، ثوراتها، نضالاتها ونضالات شعبها، الصراع مع الاحتلال كاحتلال صهيوني عنصري واستيطاني، تحديد للقوى التي تلعب دور في مأساة واحتلال فلسطين حيث تتصدر بريطانيا والقوى الامبريالية العالمية، رؤية للعمق العربي لفلسطين واهميته في الصراع مع الاحتلال، الشهداء كرموز واضحة ودالة للتاريخ النضالي الفلسطيني ورمزا لهويتها الوطنية، المجازر كحلقات مركزية في التاريخ الفلسطيني والثورات ايضا. وليس ابلغ على ذلك من اسماء المنظمات الاسيرة تيمنا بالشهداء، او حتى اسماء المجلات التي صدرت في الاسر ومنها على سبيل المثال لا الحصر: مجلة ابو جهاد امير الشهداء/ احم الثورة/صوت الثورة/اشبال الانتفاضة/ الشهيدة تغريد/تل الزعتر/ ايلول/شذى الحرية/الثائر العربي، الثورة مستمرة/الاحرار/ الشهيد سعد صايل/الشهيد سمير ذياب/ صقور العاصفة/ العودة/ عيون القدس/ الكرمل/ العودة/ الهدف[24]. كلها اسماء ذات دلالات ورموز لها علاقة بتاريخ فلسطين كل فلسطين من الكرمل في حيفا الى القدس، الى تاريخ المجازر من تل الزعتر ايلول، الى الشهداء والى رموز النضال العودة والثورة والثائر العربي، كلها شكلت عناصر فاعلة ومؤثرة للهوية والكيانية الفلسطينية.

[24] اسماء هذه المجلات مأخوذه من فهرست مكتبة مركز الشهيد ابو جهاد لشؤون الحرة الاسيرة، وهي حميعها موجوده بالنص الاصلي.

ولم يقف الحال على المجلات الثقافية، فقد كان التنوع الثقافي من فنون وشعر، ورسم كلها حاضرة في حياة الاسرى وتشكل كل الرموز المرتبطة بالهوية الوطنية والنضال الفلسطيني والتاريخ والتراث المادة الاساسية لهذا الابداع والتعبير بعلاقته المباشرة بالآسر والصراع مع العدو. يوثق ذلك الاسير المحرر عدنان جابر (جابر 1979: 178) "الرسم والتطريز عادة يكون على مناديل وقطع قماش بيضاء يرسم عليها خارطة فلسطين وقبة الصخرة في القدس، وصورة ازهار وفدائي مرفوع الرأس ويمتلئ وجهه بالعزيمة رغم القيود التي تكبل زنديه". ويعتبر الاسير محمد الركوعي، وزهدي العدوي وهما اسيران تحررا في صفقة التبادل في العام 1985 الاشهر كفنانين تشكيليين تجاوزت رسومهما اسوار السجن لتصبح مشهورة على المستوى ليس الفلسطيني فحسب ولكن ابعد من ذلك، ولتستخدم رسوماتهما كبطاقات بريدية لمناسبات وطنية عديدة، لما تحمله من كثافة الرموز الوطنية التي اشار لها جابر(1979).

اذن مرة اخرى تحضر رموز الهوية وبقوة عبر القلم والرسم والفن وحتى الغناء، خارطة فلسطين، القدس، الفدائي رمز النضال، مرفوع الرأس رغم القيد أي الاحتلال في اشارة للصراع والنضال القائم.

واخيرا تحضر هذه الرموز ليس كهوية خاصة لهذا التنظيم او ذاك، وانما هوية وطنية جامعة لكافة الاسرى وهي هوية تعزز وتغني وتؤكد على الهوية الوطنية الجامعة للفلسطينيين اينما كانوا، هنا من دير ياسين، الى بيت ساحور، وعبر الوطن العربي حيث صبرا وشاتيلا. هو المجتمع الفلسطيني– المتخيل الذي يحضر بالرموز الجامعة وليس فقط بالالتقاء في المكان الوحد كما اشار

له بندكت اندرسون(Andrson 1991)، وهي هوية تجد تصاعدها وتراكمها وافضل تجلياتها في عملية الصراع المباشر والمحتدم مع العدو كما اشر لها الخالدي(Khalidi 1997).

وفي الختام، يمكن القول ان الثقافة بمفهومها الاشمل في الاسر كانت بمثابتها المعول الاهم في بناء رموز ومعاني الهوية الوطنية لدى الاسرى.

الفصل الرابع

النضال والاضراب: خيار لا بد منه

اوضاع السجون:

يستعرض هذا الفصل الاجراءات المختلفة لإدارة السجون والتي اتسمت بالعنف الجسدي والنفسي في البدايات، والتي هدفت لخلق مجتمع منضبط ضمن قوانينها ولذا استخدمت القوة فيه لكي تؤكد منذ اللحظة الاولى على تفوقه كمستعمر وان لديه اليد الطولى في تقرير مصير الاسرى وسد أي افق لأي احساس انساني ووطني ممكن، وتأكيد تفوقها الذي احدثته على الارض باحتلال ما تبقى من فلسطين، اجراءات تهدف لتحويلهم لمجرد كائنات متحركة اشبه بحياة الحيوانات، وفي ظل هكذا عملية سنرى بالمقابل كيف ان الاسرى الفلسطينيين لم يحتاجهم كثيرا لإدراك معادلة الصراع وبالتالي مقاومتها ككل وطني واحد، سنرى في هذا السياق كيف ان المقاومة لأي اجراء جاءت نتيجة ادراك الاسرى لمعادلة الصراع الوطني والهوية الفلسطينية، وكيف ايضا في عملية الصراع تبلورت اكثر وتعززت هذه الهوية الوطنية.

في تمهيدهم لقضية الاسر والتعريف بالسجون يؤكد الاسرى في كتابهم السجن ليس لنا (1985) على ان "السجن أي سجن لم يكن منذ نشأ، وعلى مدى العصور سوى اداة قمع وقهر وتعطيل". هذا التعريف الذي يستند للعودة للتاريخ ما هو الا محاولة للربط الجدلي بين الاستعمار اليوم بشكله الحديث الذي وقع على فلسطين وبين تطور الملكية التي ادت الى النهب الاستعماري وخلق ادوات لتطويع المستَعمَر، وهم اذ يعبرون عن ذلك فهم يعودون الى جذور تطور الملكية كما عبر عنه

فرديدك انجلز في كتابه اصل العائلة والملكية الخاصة (انجلز 1988) حيث يعتبر ان تطور الملكية الخاصة وصراع الطبقات قد اوجد بالضرورة محاولات للجم الصراع وحصره في اطار النظام على حد تعبيره، ومع تطور الملكية الخاصة اصحبت الضرورة بنشوء الدولة فنشأت اجهزتها المختلفة ليس كأداة للحفاظ على مصالح الطبقات والاستثمار فحسب، ولكن ايضا اداة قمع وقهر عبر اجهزتها المختلفة الشرطة والسجون وهي ادوات ضرورية لتوفير السيطرة السياسية والطبقية عبر القمع والقهر الجسدي المادي المباشر، ونلحظ هنا كما ورد في كتاب السجن ليس لنا (1985) اثر الثقافة الماركسية الكلاسيكية، وادبياتها في تفسير الدولة كجهاز قمع وسيطرة. وبالتالي فمهمة السجن ممارسة القمع والقهر وليس ذلك فحسب بل قهر يراد منه تطويع الاسنان ليس اداة مستعبده في دي المستعبد والمستعمر، وتصبح اداة مراقبة ومعاقبة وهيمنة وسيطرة حسب تعبيرات ميشيل فوكو (1990).

ان سجون الاحتلال ليست بمعزل عن تعريفاتنا السابقة حيث يرى الاسرى ان السجن: "لم يمثل في يوم من الايام اداة لتطبيق العادلة المجردة بل مثل الاداة التي استخدمتها الصهيونية لقمع ومواصلة قمع مقاومة الشعب الفلسطيني المحروم من الحقوق الانسانية الأولية بعد ان نزعت منه روحه ومصدر قوته وعنوان وجوده: ارضه ونفته ليتيه في عالم الشقاء او ليقبع في الارض مكبّلا بقيود احتلال بغيض" (السجن ليس لنا 1985: 20)، هذا ويربط الاسرى بقوة بين السجن كأداة قمع وقهر بغض النظر عن النظام الاجتماعي الذي يمارسه ليضيفوا له بعداً جديداً مرتبط بالرؤية الصهيونية لفلسطين والفلسطينيين، على قاعدة جولدا مائير المشهورة " ارض بلا شعب لشعب بلا ارض"، أي ان السجون ايضا لها وظيفة اساسية هي ابادة الشعب الفلسطيني، وهي وظيفة ممنهجة

واساسية في اجندة الابادة الوطنية للشعب الفلسطيني، وهنا يبدو بوضوح علاقة الاسرى مع المكون الوطني للهوية ولعلاقة الصراع القائمة على الارض، ومنها ينطلقوا في صياغة وتعريف ان يكونوا "اسرى فلسطينيين" في "سجون احتلال".

وعليه، من هذا الإدراك يتعامل الاسرى الفلسطينيين مع السجن ليس كمقبرة كما شاءها السجان ولكن كمدرسة ثورية وكموقع نضالي متقدم، هدفه الاساس الحفاظ على الهوية وادارة الصراع بما يعزز الرؤية الوطنية في المقاومة من اجل الحرية. ويعبر عن ذلك الاسير حاتم الشنار (2014):

"رد الفعل عليه ان يكون جماعي، المصالح الوطنية واحده ويستهدف مجموعة الاسرى والاسرى هم الطليعة"

لقد تعاملت ادارات السجون منذ اليوم الاول ما بعد العام 1967 وبعد ان احكمت احتلالها لكل فلسطين، بسياسة القمع الممنهج محاولة منها لتطويع وقهر الاسير الفلسطيني كمقدمة لإخضاعه وطنيا وانسانيا. ولهذا كله اتبعت سلسلة من السياسات نذكر منها سياسة الاستنزاف العصبي المرهق، سياسة التجويع النفسي والمادي ومن كل ما له صلة بالحياة الانسانية وضرورات الحياة الاساسية، عدى عن سياسات الاستهداف الوطني والاسقاط الامني، مرورا بسياسات التجهيل والمحو الثقافي وهذا غيض من فيض من هذه السياسات التي وعلى مر الزمن تطورت وتفرعت منها اساليب وسياسات جديدة.

وعليه، لقد تعمد ادارات السجون خلق حالة من الاوضاع غير المريحة اللاإنسانية داخل السجون كوسيلة عقاب وتعذيب للأسرى الفلسطينيين، ويمكن تسجيل استعراض تاريخي يعبر عن حالة

الوضع، ويوضح كيف تعامل معه الاسرى من نفس المنظور علاقة الصراع على قاعدة الصراع القومي والهوية الوطنية.

القمع الجسدي والاذلال:

لن نخوض في سياسة القمع الجسدي للأسير من لحظة اعتقاله وتعرضه للتحقيق وهي مرحلة تغيب عنها اية رقابة حتى لو كانت واهية ودون تأثير مثل الصليب الاحمر الدولي ودوره في متابعة الاسرى على اعتبار انهم اسرى حرب. وانما تهدف هذه المداخلة لاستعراض ذلك القمع المصاحب للأسير ما بعد التحقيق في عملية تنقله من سجن لأخر تحديدا وفي عملية دخوله الى السجن المنقول اليه. هي " حفلة قمع" كما يطلق عليها الاسرى، حيث حفلات التشريفة للمعتقلين على الطريقة المصرية لا تحسب امامها بشيء رغم العنف المسجل فيها، عن ذلك يقول الاسير قدري ابو بكر (ابو بكر 2014):

> *"دخلت السجن، طوابير شرطه على الجنبين، عصي ورش بمادة بيضاء بحجة قتل الحشرات، ويتم بعدها اعطاء ملابس داخلية وقميص وبنطلون، ثم يتم الادخال الى الزنازين ، حيث يمكث أي قادم جديد اسبوعين، ويمارس عليه قمع شديد، يخرج بالصياح ويسألوه افطرت فيقول لا فيضربوه، على الغذاء يسألوه تغديت يقول لا فيضربوه والعشاء كذلك الامر، غير كلمة "سيدي" ، وكانوا يعتبروها سياسة تدجين. وتهجين للأسير لإطاعة اوامر الادارة".*

يعتقد الاسرى ان العنف الموجه للأسير ما بعد التحقيق والمحكمة هو سلسلة اساسية في عملية تحطيم الاسير سياسيا وانسانيا كمقدمة لإلغاءه وطنيا وانسانيا (السجن ليس لنا 1985). لقد مارست ادارة السجون القمع الجسدي المباشر والممنهج لمدة خمس سنوات متواصلة، وما كان لها ان تتوقف عنه الا بعد نضالات مريرة خاضتها الحركة الاسيرة على مستوى الافراد وعلى مستوى الجماعة.

لقد كان القمع الجسدي والوحشي قاسيا بحيث تجاوز أي اعتبارات وحسابات بحيث كان قرار المواجهة والمقاومة سريعا وعاليا منذ بدايات الأسر وفي العام 1968 اضرب الاسرى عن الطعام في سجن الرملة، واحتاج الامر الى 11 يوما من المقاومة لكسر هذه السياسة وتلاها في العام 1969 اضربا عن الطعام في سجن بيت ليد ايضا لتكسر هذه السياسة (السجن ليس لنا 1985). وقد استطاع الاسرى في العام 1972 وبعد كل الاضرابات والمواجهات ان يطووا صفحة الاذلال والتعذيب الجسدي الموجه عندما اعترفت ادارة السجون ان العنف الجسدي لم يعد ضمن سياساتها في التعامل مع الاسرى الفلسطينيين.

هكذا تميزت السنوات الاولى لسجون الاحتلال بقمع امتد منذ لحظة الاعتقال الى ما بعد المحكمة والانتقال الى السجن المركزي، وكان عنوانها وقانونها الصراع المكشوف والاستهداف الصريح والقاسي للأسرى الفلسطينيين على قاعدة الاخضاع تمهيدا لتفريغ المضمون الانساني والوطني من الاسرى والذي قوبل بنفس القوة من المقاومة وعلى نفس قاعدة الصراع " صراع الوجود والبقاء" كفلسطيني في مواجهة ادارة سجون الاحتلال. وفيها يتجلى الية وسياسات الاحتلال لكسر عنفوان

الاسير مرورا بعصره كحبة الليمون انتهاءا بتفريغه من اية مضامين نضالية واية انتماءات تعكس هويته الوطنية.

ومن تجليات الاذلال ايضا، العد اليومي حيث يجبر الاسير على الوقوف بطريقة عسكرية فيما الفراش والمفترض انه يقوم مقام السرير مرتب بالكامل ما يجعل الجو متوترا وعلى الاسرى البقاء كذلك لإنهاء العد وعندما نتحدث عن السنوات الاولى حيث الغرفة تتسع بين 60- 70 اسير معنى ذلك نتحدث عن وقت ليس بالقليل يبقى فيه الاسير مشدودا لتلك الوقفة العسكرية الانضباطية والقائمة على علاقة قوة السجان وضعف السجين.

وهكذا يصفها الاسير ابو بكر ويلخص وحدة الصراع من اجل المواجهة(2014):

> *"من الصباح حتى المساء البطانية يجب ان تكون مصفوفه على المسطرة وممنوع لمسهم في النهار، وكنا ندعوه في تلك المرحلة "بصنمية البرش" ، النظافة مبالغ فيها وحجة للعقاب ، كذلك أي خلل في البرش. وحتى لا نمنح فرصة للتفكير والاستقرار كانت الادارة تعمد الى التنقيلات للأسرى بين الغرف وبين الاقسام وبشكل يومي حتى ان بعض الاشخاص ينتقل مرتين في اليوم بين غرفة وغرفة او غرفة وقسم. الثقافة ممنوعة وكذلك الكتب. يعطونا انبوبة قلم بلاستيكية لكل غرفة وكرت صغير من الصليب الاحمر فقط نكتب سطرين للأهل مرحبا وكيف الحال ونحن بخير. ضياع الانبوبة يعني العقاب ومع ذلك نسرق الانبوبة ونتحمل العقاب، الزبده واللبنة تأتي بقوالب نوزعها على الغرفة ،بيضه مقسومه لقسمين، ثلاث زيتونات، نصف ملعقة مربي، قالب خبز الفينو مقسوم على 12، البعض من الجوع اكل قشر البيض وعجم الزيتون كانت مجاعة. وعندما كانت الكتب ممنوعة، كنا نأخذ ورقة قالب الزبده ننظفها جيدا ونكتب المجلة الاعتقالية للمعتقل ، ومجلة صوت الثورة خاصة بفتح. لم نكن نسأل من أي تنظيم نحن بسبب سياسة الادارة وهمنا جماعي بالمواجهة".*

سياسات حلق شعر الرأس والشارب

والزام الاسرى بحلاقة ذقونهم مرتين اسبوعين وبواقع شفرة لكل خمس اسرى (السجن ليس لنا 1985)، وايضا في البدايات كان على الاسرى الخروج عراة للاستحمام حيث الحمام في آخر المرودان ناهيكم على ان عملية الاستحمام لا تتعدى دقيقة من الماء البارد، كما كانت تفرض ادارة السجون على الاسرى الصمت بعد السادسة مساءا على اعتبار ان المساء حل، فيما كان يمنع على الاسير الاقتراب من الفراش وهو عبارة عن عدة بطانيات يجب ان ترتب أي تطوى على شكل لفه وان تبقى طوال النهار كذلك ما يعنى حرام الاسير من أي فرصة تمدد اثناء النهار للراحة او استخدامها شتاءا للاتقاء من البرد.

كلمة "سيدي"

لقد كانت السنوات الاولى حافله بتكثيف عال من سياسات الاذلال منها على سبيل المثال ما فرضته إدارات السجون على الأسير الفلسطيني لمناداة السجان **وهي كلمة " سيدي"**. لقد كان مطلوبا من الاسير ان يتبع أي شيء يود قوله او طلب يتعلق بحياة الاعتقال من مناداة السجان سيدي، هي تعكس سياسات التفريغ والتأزيم النفسي للأسير وصبغ احساس من العدم لأهميته كإنسان، مقابل تفوق السجان عليه قوة وحضارة وعنفوان، وان تأتي هذه السياسة مترافقة عشية استكمال احتلال فلسطين في العام 1967، أي مترافقة مع الهزيمة، تضفي بعدا اضافيا للإحساس بالهزيمة تمهيدا للاستسلام، انها ليست مجرد كلمة، انها اعلان الاسير عن استدخال هزيمته امام سجانه وبالتالي اعلان دونيته، انها فقدان الاحساس بالانا، الفرد والجماعية، تلك الأنا التي تميز الهوية عن اية هوية. ولكن سرعان ما ادرك الاسرى سياسات الاحتلال وعملوا على اعادة

التوازن لكل الاحداث التي تدور حول تفاصيل السياسات المختلفة التي تحيلهم لمجرد اشباح ، هي سياسات تستهدف الذات لدى الاسرى، فما كان الى بداية مرحلة جديدة بالنسبة للأسرى من المقاومة ولكن ضمن شروط موضوعية مختلفة في الاعتقال وضمن مساحة محددة ورقابة صارمة من ادارة السجون، وكل عوامل القوة المادية التي تمتلكها ادارات السجون ما عدى قوة واحدة يمتلكها الاسير وهي ارادة النضال. فاعتبر الاسرى ان السجن هو "خندق نضالي آخر" كما كانوا يطلقون عليه، وامام القناعة وادراك سياسة ادارة السجون قام الاسرى بالانتفاض على كلمة سيدي، ورفض قولها، والتي جوبهت بسياسة قمع من ادارات السجون حيث منع الاسرى من زيارات الاهل، واية طلبات كان يطلبها الاسرى لتحسين شروط حياتهم مثلا علاج معين لأحد الاسرى، رسائل للأهل، بعض الحاجات المسموح ادخالها اثناء زيارة الاهل والتي يقدم فيها كتاب مسبق، كما منع عنهم رسائل الاهل وصور عائلية كانت ترسل مع الرسائل على اهميتها الانسانية للأسرى، ومحاولة المساومة للحصول عليها الا ان الاسرى بصلابة وقفوا ضد اية مساومات رفضا لقول كلمة "سيدي"، استمر نضال الاسرى لشهور عديدة حتى حققوا الانتصار واضطرت ادارة السجون التعامل مع الواقع الجديد الخالي من كلمة" سيدي" بعد أي كلام. واعتبر الاسرى النتيجة هي فرض واقع صراع جديد له موازين قوى جديدة ليس لها علاقة بالقوة المادية المباشرة لمن يملك مفتاح الزنزانة بل لن يملك ارادة الوجود.(ابو بكر 1989).

سياسات العمل:

كما الحال في معظم السجون حول العالم لغير السياسيين أي سجناء الحق العام كما يطلق عليهم، هناك برامج عمل للسجناء الاقل خطورة والاكثر التزاما بالنظام داخل السجن، والسجناء الجنائيين

في السجون الاسرائيلية ايضا يسيرون وفق هذا النظام، ولكن الذي مقابله مبلغ لا باس به من المال، وامتيازات اضافية من نوع إبقاء باب الزنزانة مفتوح طيلة النهار، زيارات مفتوحه مع الاهل في حديقة السجن.. زيارات نهاية الاسبوع خارج السجن .. الخ، أي امتيازات وظروف معيشية يقرها القانون العام لمصلحة السجون المركزية.(الشنار 2010).

ولكن ما حدث مع الاسرى الفلسطينيين حكاية اخرى تماما، ففي الوقت الذي تعاطت ادارات السجون مع الاسرى الفلسطينيين كمخربين فقد حجبت عنهم اية حقوق يخضع لها السجين العادي، ولكن في موضوعة العمل حاولت التعاطي مع المسألة كقانون واجبار الاسرى الفلسطينيين للعمل في مصانع العمل داخل السجون، لم يكن ذلك تطبيقا فعليا للقانون فكل ظروف العمل ومنطلقاته للأسرى الفلسطينيين خاصة حيث العمل فرض على الأسرى لإنتاج مواد لجيش الاحتلال، وهي شباك التمويه للآليات العسكرية، ملابس الجيش، تلك اهم سلعتان كان الاسرى ينتجونها. وانما كان الهدف في البداية اذلال الاسرى حيث وبموجب القانون كما اسلفنا على ادارة السجن توفير العمل المنتج للسجين على قاعدة الاحساس بالإنتاجية والاهمية في المجتمع.. وهذا العمل المنتج مرتبط ايضا بالأجر وظروف افضل، وهو ما لم يحصل مع الاسير الفلسطيني، ما ادى لمقاومته، وقد تزامنت مقاومته مع بدء الانتظام التنظيمي داخل السجون ومحاولات الاسرى تصليب البنية الداخلية لمجتمع الاسر بغض النظر عن الانتماء التنظيمي ما استشعر الخطر من ادارات السجون وتسارعت الخطوات لفرض العمل ليس بهدف الاذلال فقط ولكن بهدف التفريغ السياسي والوطني للأسرى ومنع محاولات انتظامهم غبر تفتيت مجتمعهم الداخلي بين عامل متكسب واسير لا يعمل. وهنا انتقل العمل لمرحلة اعطاء اجر عن العمل وايضا بعض الحقوق كما ينص عليها القانون

مثلا ساعات اضافية خارج الزنزانة. لقد نجحت ادارة السجون في مسعاها حيث انقسم مجتمع الاسرى بين من تصب مصالحهم مع العمل ومن يرى ان العمل اهدافه تفوق تطبيق حقوق الاسير وفق القانون وان المعادلة هي سياسية بالدرجة الاولى في محاولة ليس منع الانتظام بمجتمع الاسرى والحياة الاعتقالية والاستفادة منها على صعيد بناء الذات ورفع الوعي فحسب بل يتعدى ذلك لخلق حالة من الانانية والمصالح الذاتية التي تعمل على ضرب وحدة الجماعة(السجن لنا 1985).

اما لدى الاسيرات فموضوعة رفض العمل أخذ وقتا اطول منه لدى الاسرى الفلسطينيين(السجن ليس لنا 1985)، الا ان الامور لم تختلف في الجوهر وفي صلابة الرفض ومواجهة الاجراءات القمعية لإدارة السجن، في العام 1983 وعلى اثر الوضع العام السياسي الخارج والاجتياح لبنان في العام الذي سبقه، طرحت لدى الاسيرات وبقوة موضوعة رفض العمل وعلى خلفية قومية وطنية رفض العمل في المنشآت الاسرائيلية مثل مصنع الخياطة، وتجميع ادوات الكهرباء، والمطبخ الذي يقدم خدماته للسجانات والسجينات الاسرائيليات الجنائيات على حد سواء (الفاهوم 1985). وفي تاريخ 1983/6/14 قامت الاسيرات بإعلان الاضراب عن العمل في تلك المرافق لجملة من الاسباب اضافة للمعاملة السيئة واللاإنسانية التي تعيشها الاسيرات والتي تهدف حسب تعبيرهن الى سحق الذات الانسانية فيهن، الا ان ابرز الاسباب والتي عبّرت بوضوح عن حدة الصراع القائم بينهن كمناضلات فلسطينيات مقابل ادارة السجون كعدو هو انّهن يرفضن العمل للأسباب مبدئية وهن اذا كن اسيرات في سجون الاحتلال فلن يعملن في مصانع تخدم اقتصاد هذا الاحتلال وتضيف على ذلك الأسيرة روضه بصير ان العمل" والاهم نحن في مرحلة

الدفاع عن انسانيتنا، عن كرامتنا القومية والانسانية"(الاتحاد 1983). وقد عمدت ادارة السجون واثر استمرار الاضراب لشهور طويله على التضييق وقمع الاسيرات وحرمانهن من مجمل حقوقهن وصولا لاقتحام القسم المتواجدات به واستخدام الغاز المسيل للدموع ونقل عدد من الاسيرات لقسم العزل كإجراء عقابي ومنع زيارات الاهالي وذلك بتاريخ 1983/10/31، الا ان الاسيرات كانت المسألة لهن صراع وجود كما هو الحال بما يحدث لشعبهم في لبنان بموازاة الزمن الذي يضربن هنا عن العمل، ولا ينسين ان ذلك جزء ومرتبط ارتباطاً جدلياً بالنضال في كل مكان والاشتباك مع العدو وهن في معمعان هذا الاضراب ان يرسلن وعبر الصحف المحلية بنداء الى المقاومة الفلسطينية في لبنان بوقف الاقتتال الداخلي وكان هذا في العام 1983(الفاهوم 1985). اخيرا استمر الاضراب لعشرة شهور من حزيران 1983 الى اذار 1984 حيث خرجت الاسيرات الفلسطينيات منتصرات في هذه المعركة، ورفضن العمل الذي كان يمثل قهر قومي ووطني لهن.

ان العمل استهدف اذلال الاسرى، لذا ورغم ما حملته مقاومة هذه السياسة من الالام وقمع وضغوطات واجهها الاسرى، الا ان تحديه ووقفه رغم المعاناة كان اجراء لا بد منه لحماية خط دفاعهم الاول حسب تسميتهم وهو "كرامتهم الوطنية والانسانية وكبريائهم الشخصي"(السجن ليس لنا 1985: 75). وهنا يمكن ان نلحظ ان المسألة ليست انانية فردية وليست نضال عفوي غير مؤطر او معروف الابعاد، وانما ادراك واعي لطبيعة الصراع القائم وراء عملية فرض العمل على الاسرى، وهذا يعكس ايضا تحديد لمفهوم الصراع كصراع مع احتلال يسعى لنفي الاخر، ما يستلزم بالضرورة المواجهة حتى لو كانت قاسية ومؤلمة على الاسرى.

الفورة

وتعني الفسحة الوحيدة اثناء اليوم للخروج من الغرفة الى ساحة مغلقة من كافة الجهات فقط مفتوحة على السماء ولكن "مسجيه" بسقف من الشبك السلكي ايضا من الاعلى تحت شعار الامن أي الحرص على عدم هروب الاسير! أي بالكاد تمزقها الشمس، وكانت مدة الفورة لا تتجاوز الساعة في بعض السجون كانت تقسم على فترتين وفي بعضها الاخر مرة واحدة ولكن حتى فسحة التنفس الوحيدة للأسرى كانت مضبوطة بمعنى نصف ساعة على الاسرى ان يسيروا بشكل مزدوج ودائري كل اثنين سويا ودون كلام، وأي محاولة للحديث تواجه بعقوبات صارمة، وهذه العملية تستمر لمدة نصف ساعة اما النصف ساعة الثانية فكان على الاسير ان يجلس قرفصاء ملاصقا للحائط وهي كانت الفرصة الذهبية بالنسبة للأسرى لتدخين الاربع سجائر المسموحة لهم. ان تحسن الظروف الذي رافق ساحة الفورة ليس من حيث الحجم او اجراءات الحراسة والمراقبة على الاسرى لم تتغير بل دائما هي اداة من ادوات المراقبة والسيطرة على الاسير وعلى تحركاته وهمساته، الا ان زمن الفورة ونشاطاتها وحرية الحركة فيها تم تغييره وتحسين شروطه على مراحل مختلفة من نضالات الحركة الاسيرة عبر الاضرابات المتواصلة، وصولا الى احد اهم الاضرابات في تاريخ الحركة الاسيرة وهو اضراب العام 1992 والذي فيه حقق الاسرى جملة مطالب حياتيه مهمة احداها ساعات الفورة وقد اصبحت ساعتين صباحا وساعتين مساءا، اضافة لإمكانية ممارسة الرياضة الجماعية والفردية لساعة إضافية، وايضا حرية الحركة وليس الانتظام كما هو الحال في البدايات، جدير بالذكر ان في هذا الاضراب استشهد الاسير حسين عبيدات من سجن عسقلان نتيجة تداعيات الاضراب. (ابو دحو 2012)

الاكتظاظ والازدحام

الازدحام احد العلامات البارزة في السجون منذ نشأتها بعد العام 1967، فعلى سبيل المثال في سجن الخليل في العام 1969، كانت الغرفة التي تبلغ مساحتها 4×5 م تتسع لأربعين اسير، وكان السجن يحتوي على 300 اسير موزعين على حوالي 6–7 غرف على الاكثر، مع العلم ايضا ان هذه الغرف لم تكن تحوي مرحاض او حمام داخلها، وكان الخروج لقضاء الحاجة يتم بمواعيد، وفي الليل حيث يمنع فتح الغرف لأسباب امنية، كان على الاسرى استخدام جردل لتفريغ حاجاتهم الضرورية فيه. رغم ذلك كان الاسرى يتعمدون الضغط على انفسهم ليلا وعدم قضاء الحاجة، لأن قضاء حاجتهم كانت تعني ان على الاسير الذي في آخر الغرفة ان يمر من بين الاسرى الذين ينامون بشكل متلاصق لضيق الغرفة، ما يعني ان امكانية الدعس على احدهم وارده، او حتى اقلاق نومهم، فكان يحرص الاسير على البقاء مضغوطا حتى الصباح. من المهم هنا ان نسجل شهادة الاسير عدنان جابر عن تلك المرحلة:

> " كان جردل "البول" ينام مع المعتقلين وله حيز في الغرفة، والمعتقل الذي يأتي من آخر الغرفة كي يبول فيه كان عليه ان يقطع رحلة شاقة لا تخلو ابدا من الاصطدام والتعثر بأجساد المعتقلين الذين يملؤون ارضية الغرفة مثل قطع السمك، وكان الجرحى اكثر من يعاني، فيما كان هناك سجينان ينامان وراساهما بالقرب من الجردل وكان رذاذ البول يتساقط على وجهيهما ليلا ورائحته تزكم الانوف.. الازدحام كان شديدا .. في ذلك الوقت لم يكن بمستطاعك النوم على ظهرك او بطنك، النوم على الجنب فقط، واذا اردت احداث تبديل بالنوم على الجنب الاخر فهذا صعب ومرهق فحركتك ستصطدم بزميليين على اليمين وعن اليسار لان جسمك محشو بحيز عرضه اقل من 40 سم، كما ان رجليك لا يمكن مدهما حتى النهاية خصوصا اذا كنت طويل القامة لأن اصطداما اخر سينتج. وطول القامة لها

سيئة اخرى وهي انك لا يمكنك تغطية جميع جسمك في عز البرد القارص لأن البطانيات قصيرة.." (جابر، 1979).

على ضوء التحولات الجدية التي احدثها الاسرى في حياتهم الداخلية وعمليات الانتظام التنظيمي والوطني اصبحت سياسة الغرف ذات العدد الكبير تشكل تهديد جدي على ادارة السجون تحسبا لتمردات وحركة احتجاجات واسعة، فعمدت الى نظام رقابة وسيطرة اكثر صرامة يعتمد على تفتيت الاسرى في وحدات اصغر منعا لتشكل الروح والوحدة الجماعية للأسرى، فكان بناء وافتتاح سجن نفحة في العام 1980 بداية لسياسة قمع وعزل قيادات الاسرى واحداث تنقلات واسعة بين السجون منعا لأية عملية انتظام تنظيمي تؤدي الى مزيد من وحدة الحركة الاسيرة. ويؤكد على ذلك ابو بكر(2014):

"وحتى لا نمنح فرصة للتفكير والاستقرار كانت الادارة تعمد الى التنقيلات للأسرى بين الغرف وبين الاقسام وبشكل يومي حتى ان بعض الاشخاص ينتقل مرتين في اليوم بين غرفة وغرفة او غرفة وقسم".

سياسات العزل: نفحة والتحول التاريخي

ان النضالات الطويلة والمتنوعة الاسباب والاشكال من الاضرابات المختلفة في السجون متفرقة ومجتمعة وعلى رأسها سجون عسقلان والرملة وبئرالسبع، ادت تراكمات هذه النضالات الى حالة نوعية من القوة التنظيمية والوعي الوطني لدى مجمل الحركة الاسيرة، حالة امتدت لتصبح السجون اداة تأثير على حركة الجماهير في الشارع الفلسطيني، واضحى الاسرى عنوان بارز للنضال وللتحركات الوطنية وهوية جامعة للفلسطينيين(السجن ليس لنا 1985)، وقد كان الاسرى

قد راكموا كم من الانجازات، من اسقاط سياسات الاذلال، الى العنف الجسدي، مرورا بسياسات العمل، واخيرا الحصار والتجهيل الثقافي والانتظام التنظيمي. كل ذلك شكلا مصدرا للقلق لدى ادارات السجون، والتي باتت تدرك قوة الحركة الاسيرة المتصاعدة، وبرزت ضرورة ابتكار سياسة جديدة تحارب من خلالها هذه الحالة النضالية، وذلك عبر قمع واسكات وعزل قادة الحركة الاسيرة والمؤثرة في هذا الحراك، ومن هنا جاءت فكرة سجن نفحة الصحراوي. لقد تم بناءه في صحراء النقب ومخصص لثمانين اسيرا، في غرف تتسع عشرين اسير ولا يوجد بها الا شباك بحجم نصف متر وتفتقد للحد الادنى للظروف المعيشية المناسبة، وقد هدفت ادارة السجون الى تحويل السجن الى جحيم منذ اللحظة الاولى وبشروط الحد الادنى، لقد تم نقل الاسرى وممارسة العنف عليهم اثناء نقلهم ووصلهم الى سجن نفحة عبر تشريفة من العنف والضرب، ووضع الاسرى بظروف تشابه تلك في السنوات الاولى والتي تحدثنا عنها اعلاه. وقد حاول الاسرى عبر الحوار والمفاوضة مع ادارة السجن وعبر ممثليهم من تحسين ظروف الحد الادنى ، الا ان ادارة السجن لم تتجاوب، لقد اكد الاسرى حينها سريعا ان هذه سياسة تهدف الى اعادة عقارب الساعة الى الوراء ليس لنفحة فحسب ولكن لتعميمها على بقية السجون، لذا كان من الضروري النضال بقوة ضد هذا التوجه، عن ذلك يقول جبريل الرجوب(الرجوب 2014) ان نسف سياسة نفحة تعني بالضرورة نسف لسياسة سلطات الاحتلال تجاه الاسرى وان نفحة هي تجسيد مصغر لهذه السياسة. وعليه رأى ان النضال ضد هذه السياسة هي ليس مجرد نضال اصلاحي محلي يقتصر على نفحه ولكن هو نضال اوسع تجاه كافة الحركة الاسيرة بمجملها من قبل سلطات الاحتلال.

لقد استمر اضراب نفحة 33 يوما حاولت ادارة السجون بكل ما أوتيت من قوة وقمع اجهاض الاضراب وكسره، الا ان الاسرى كما ذكرنا كانت بالنسبة لهم معركة الوجود امام العدو، ما دفع ادارة السجن لمحاولة اجبار الاسرى على تناول الطعام، وكانت النتيجة استشهاد اثنين من الاسرى راسم حلاوه، ومحمد الجعفري ولاحقا اسحاق مراغة متأثرة بتداعيات ادخال "الزونده"[25] أي انبوب التغذية الاجباري عبر الحلق. ولكن بالنهاية انتصر الاسرى في معركتهم واضطرت ادارة السجون لمنح الاسرى في نفحة نفس الظروف الممنوحة للأسرى في بقية السجون، وبذلك خرجت الحركة الاسيرة اكثر قوة وصلابة وتبلور من هذه التجربة.

الإضراب عن الطعام: العنوان الابرز في المقاومة المستمرة

يتساءل الكثيرون كيف يمكن للإنسان ان يتخلى طوعا عن الطعام، ويتحدث الفقراء عن لقمة العيش المجبولة بعرق الجبين وقسوة الحياة، الا ان لقمة العيش لا تعني اهدار الكرامة لذا يثور الفقراء من اجل لقمة العيش ورغيف الخبز، عديدة وحافلة صفحات تاريخ الشعوب بثورات الخبر الفقراء، وليس اقرب من محيطنا الفلسطيني الا ثورة 17-18 يناير 1979 في مصر، عندما هب الفقراء من اجل رغيف خبر مجبول بالكرامة(عبدالرزاق 1977).

وكان لا يزال الاضراب عن الطعام وسيلة للمقاومة والرفض والعمل على تغيير واقع الحال وواقع علاقات القوة بين الحركة الاسيرة الفلسطينية وادارة السجون. ان واقع الاسر القاسي وسياسات الاحتلال ممثلة بمديرية السجون فرضت معادلة الصراع والنضال ضدها منذ لحظات الاعتقال الاولى لأي اسير.. وان كانت تجربة السنوات الاولى قاسية وعفوية في المواجهة واحيانا

[25] انظر الملحق : محطات اساسية حول الزونده.

قبلوا الامر الواقع.. الا ان التجربة افرزت وعي وطني لدى الحركة الاسيرة ادركت معها عناصر هذا الصراع وابتكرت اساليب عدة للمواجهة والمقاومة.. لقد اعتبر الاسرى ان السجن هو اداة مركزية في يد الكيان الصهيوني كما يصفوه ووسيلة لتحطيم انسانيته تستهدف كيانه بكامل مقوماته، فإن طابع الصراع بالغ الوضوح بل هو بالضرورة جوهري في عملية الصراع مع العدو وهو بالضرورة تعبير عن تمييز يقوم على اساس اشمل وهو التمييز العنصري الذي تنتهجه الصهيونية في فلسطين(السجن ليس لنا 1985) ويتفق الرجوب مع هذا المفهوم بأنه سياسي لذا فإن نضالات الحركة الاسيرة هي من اجل "ابراز شخصيتنا السياسية ولتعميق التزامنا الوطني" (الرجوب 2014: 72) ضمن هذا المفهوم لجوهر الصراع رأى الاسرى في الاضراب عن الطعام احد اليات المواجهة الاساسية لكسر هكذا سياسة. وقد تعدت اسباب الاضرابات وان كانت العناوين الاساسية منذ الاضراب الاول مطلبيه أي تختص بظروف الحياة في السجن، الا ان الاسرى ايضا ايضا خاضوا نضالات مطلبية بجوهرها السياسي ولكن ايضا نضالات سياسية واضحه منها اضراب عن الطعام بمناسبة كامب ديفيد، اضراب تضامني مع شركة كهرباء القدس 1980، تضامن مع المطراب كبوشي الذي اعتقله الاحلال بدعوى الانتماء للثورة والقيام بمهمات كفاحية. والاهم ان هناك كانت عناوين للإضراب السياسي ثابته كما هو الحال بالنسبة للخامس عشر من ايار، وعد بلفور، يوم الاسير.. (الرجوب 2014، عودة 2012) تقول عايشه عن اضراب ذكرى النكبة:

"ارادوا رفع علمهم على قسمنا، وان يحتفلوا بذكرى نكبتنا، وابينا ان يرفع علمهم حتى لو سقط منا شهيدات، لقد تحديناهم ورفضنا احتفالهم وزينتهم وطعامهم واكتفينا

بالماء والخبز تحديا لهم فأصبح ذلك تقليدا في ذكرى النكبة ثم تحول الى يوم إضراب".

لقد شكلت الاضرابات تحديا واضحا لسياسة الاحتلال، فيما تراكم نتائجها والانتصارات التي حققها الاسرى ليس فقط على صعيد تحسين الظروف الاعتقالية المعيشية ولكن على مستوى فرض الشخصية الوطنية للحركة الاسيرة في مواجهة ادارات السجون، هذه الشخصية التي تمثلت في حق فرض الحياة الداخلية للأسرى وفق ترتيبهم التنظيمي والوطني، ورضوخ ادارة السجون للتعامل مع الاسرى عبر ممثليهم والتي سميت لجنة الحوار ويرأسها ممثل معتقل، هي علاقة قوة وندية في معركة الصراع مع الاحتلال رغم ان من يمتلك مفتاح السجن هو الاحتلال. وكل ذلك انما يعد مكونا هاما من مكونات الهوية الوطنية للأسرى.

كانت الاضرابات وما زالت معركة سياسية وطنية بامتياز وهي صراع مباشر ومفتوح مع الاحتلال وهو الشكل الاكثر حدة ومواجهة في اقسى الظروف المعادية، حركة اسيرة – هوية وطنية موحده جمعية في مواجهة الاحتلال وهذا ما ذهب اليه العديد من المنظرين وفي الحالة الفلسطينية رشيد الخالدي Khalidi (1997). كان الصراع هو المدخل الأبرز لبلورة الهوية كما يذهب الرفيدي (2009)، وهذا الصراع انما تجسد في اكثر آلياته وضوحا (الاضراب عن الطعام).

الفصل الخامس

في خلاصة التحليل

ينطلق الاطار النظري حول القومية والهوية ونشوئها من العديد من المقولات والمفاهيم التي طورها بندكت اندرسون، واريك هوبسباوم كمنظران عالميان بحثا في القومية والهوية على مستوى اوروبا والعالم، ولتعطي نتاجات العربي ساطع الحصري بعدا قوميا عربيا خالصا حول تطور ونشوء الوطنية والقومية العربية، فيما توطن كتابات رشيد الخالدي المسألة فلسطينياً وخاصة حول تطور الهوية الوطنية.

يمكن الاستنتاج استنادا لما جاء في الاطار النظري، بأن الشعور بالهوية الوطنية/القومية الواحدة والجامعة ليس فقط له من الدلالات والرموز واللغة والتاريخ المشترك، ولكن يتجلى اكثر ويظهر في ظل احتدام الصراع، حيث يشكل التهديد الخارجي والاستعماري خطرا على بقاء وتماسك المجموعة وعلى مصالحها المشتركة، وبالتالي تصبح العناصر المشتركة السالفة الذكر من الاهمية بمكان لتعزيز صمود وبقاء الجماعة الوطنية في وجه التهديد المفروض عليها، ويصبح التأكيد المستمر عبر الممارسة اليومية مسألة اساسية وضرورية تمارسها الجماعة في مواجهة هذا الصراع المفروض.

هذا الصراع مثلاً، مأخوذاً على الحياة الاعتقالية، وقبله على الحالة الفلسطينية على العموم، هو مدخلنا في الدراسة لفهم دور الحركة الاسيرة في تعزيز الهوية الوطنية في الأس، فسواء قبل

الأسر او اثناءه، فإن الصراع كان الثابت الأكبر في حياة الأسرى قبل الأسر وبعده، وبالتالي نعتقد انه مدخلاً أساساً في فهم الموضوع الأساس في دراستنا: دور الأسرى في تعزيز الهوية الوطنية.

وعليه يمكن تسجيل بعض الملاحظات الختامية:

- ان الارهاصات لخلق الجماعة الفلسطينية ومجتمعها المقاوم قائمة، ولكن الصراع مع المشروع الصهيوني الاحتلالي عزز هذه الهوية الجمعية لمواجهة القوة المقابلة

- لقد لعب الاسرى دورا اساسيا في تعزيز الهوية الوطنية الجامعة، وكانوا يشكلون هذا المجتمع المتخيل ذو الرؤية الوطنية الموحده.

- لقد شكل الصراع مع الاحتلال عبر ادارة السجون وما تحمله من سياسات قامعة للأسير كفلسطيني مقاوم ويشكل النقيض لها، محور مركزي في تطور رؤية الذات الجمعية للهوية الفلسطينية لدى الاسرى. وشكلت المواجهة اليومية المستمرة في مقاومة سياسات القمع العمود الفقري لبناء المجتمع الاسير المقاوم كرديف للمجتمع الفلسطيني المقاوم خارج الاسر في فلسطين المحتلة.

- ان هذه الهوية تعززت وتجلت بوضوح عبر سنوات الاسر الطويل وعبر محاور ودلالات ورموز عدة عالجتها دراستنا.

- ان احدى هذه التجليات في الحياة الاعتقالية للأسرى، والتي شكلت احدى رؤوس المثلث المعبر عن الهوية كما جاء في اشكالية البحث يكمن في الحياة التنظيمية وخلق المؤسسة الاعتقالية الموحدة، والتي ساهمت في تبلور الحركة الوطنية الاسيرة كذراع اساسي ومركزي للحركة

الوطنية الفلسطينية وتجليها المؤسساتي الرئيس منظمة التحرير الفلسطينية. كانت المؤسسة الاعتقالية، الوطنية والتنظيمية، بمثابتها الكيانية السياسية الوطنية للحركة الأسيرة: الجماعة الوطنية بتعبير آخر.

- اما الثقافة وبناء الوعي الوطني المستند للتاريخ الفلسطيني وتاريخ النضال والصراع مع القوى الاستعمارية على فلسطين فقد شكل الرأس الثاني للمثلث، عبر تعزيزها للرواية الوطنية الفلسطينية لدى المعتقلين.

- اما الصراع والمقاومة لسياسات ادارة السجون الإسرائيلية فشكل الرأس الثالث لمكونات الهوية الوطنية حسب ما ذهبت اليه اشكالية الدراسة. وكان العنوان الابرز هنا رفض السياسات على قاعدة رؤية الذات الفلسطينية الوطنية في مواجهة الاخر العدو، والتي كان الاضراب والإضراب عن الطعام التحرك المركزي للحافظ على الذات الجمعية وهويتها الوطنية

- وعليه لا يمكن بأي حال من الاحوال تجاوز تجربة الحركة الوطنية الاسيرة في سجون الاحتلال كمكون مركزي واساس في بناء واستمرار بناء الهوية الوطنية الفلسطينية، كمكون كثف عبر الممارسة اليومية معاني الهوية الوطنية بكل الرموز والدلالات الممكنة من تاريخ/ شهداء/ مؤسسة اعتقالية/ صراع/ مقاومة/ رؤية الاستعمار/ استحضار النضال.. والعديد من الدلالات اتينا عليه في الدراسة.

الملحق المركزي

محطات اساسية في تاريخ الحركة الاسيرة 1967-1992[26]

(historical biography)

يشكل هذا المقطع خريطة وسيرة تاريخية، نلقي من خلالها الضوء على اهم محطات الحركة الاسيرة في عملية الصراع مع ادارات السجون وبناء الذات الوطنية والتنظيمية ضمن الاسر، وهي محطات وان كانت استعراض للسياق التاريخي صعودا منذ العام –1967 – وهي تاريخ الترسيم الفعلي لاحتلال كامل فلسطين– وحتى العام 1992، الاضراب التاريخي المطلبي للحركة الاسيرة والتي فيه تم تحقيق انجازات غير مسبوقة لصالح الاسرى والاسيرات الفلسطينيين، هذا التاريخ الذي شكل بمعاول الثلاثي: التثقيف، التنظيم، والمواجهة النضالية مع ادارة السجون.

1967: البدايات

- كانت في عسقلان حيث الاحكام العالية للتأديب، للانتقال وللتصفية والتعذيب، وكانت درجة القمع عالية، فيه فرضت التشريفة[27] على الاسرى الجدد من تعذيب ورش مواد، وزنازين لمدة اسبوعين فيها يتم ضرب الاسير. وايضا عنوان المرحلة كلمة "سيدي" للسجان. حياة جماعية في الغرف دون تمييز فصائلي.

---

[26] هذا الاستعراض التاريخي هو ملخص للتحقيب التاريخي الذي استخدمه الاسرى اثناء المقابلات، اضافة الى تجربة الباحثة الشخصية كأسيرة.

[27] التشريفة تأتي من فترة حكم جمال عبد الناصر والاعتقال السياسي في مصر، حيث كان يواجه الاسرى المصريون نظام التشريفه عند دخولهم السجن بالضرب والكلاب والشتائم.

- قراءة الجريدة عندما تتوافر على مسمع من الجميع وامسيات ثقافية حول الثورة والصهيونية وتجاب ثورات يتولاها عادة كادرات من القوميين العرب– الجبهة الشعبية.

- لم تتوافر مكتبات في السجون، الا كبدايات، القرآن بشكل اخص وبعض الروايات. ونسخ كتب اخرى جرى تهريبها من سجن الرملة الاقل حصارا وقمعية. النسخ بخط دقيق تحسبا من المصادرات والتفتيشات.

- لم تكن الجلسات التنظيمية منتظمة.

- كانت حجوم القوى متقاربة بين فتح والشعبية. لم يكن للفصائل الاخرى وجود سوى احاد للديمقراطية وللصاعقة والقيادة العامة. وهذا الوضع استمر في السبعينات، ولكن تضاعف وجود قوات التحرير المرتبطة بحيش التحرير. لتتفكك وتندثر في نهاية السبعينات بعد حلها خارج السجون .

- غلب على تثقيف الجبهة الفكر القومي التحرري، مع بدايات للتثقيف الاشتراكي واقبال على قراءة الادب والتجارب الثورية. اما فتح مقولات تحررية محدودة، اضافة للتثقيف في تجارب الشعوب وثوراتها.

- اضرابان عن الطعام في سجني الرمله 1968 وبيت ليد1969 انهت سياسة القمع الجسدي المباشر فيهما ضد الاسرى.

1970 – 1973 مرحلة الانتفاضة على سياسة القمع:

- الانتفاض على كلمة سيدي والامتناع عن قولها، وذلك عبر الاضراب عن الفورة، ثم زيارة الاهل، واخيرا الاضراب عن الطعام يتم اتباعه كوسيلة اصبح متعارف عليها ويلجأ لها الاسرى لتحسين اوضاعهم

- استشهاد الاسير عبد القادر ابو الفحم في اول اضراب تخوضه الحركة الاسيرة.

- اضربت الاسيرات لتسعة ايام لتحسين تهوية الغرف وادخال بعض الحاجيات عبر الصليب الاحمر.

- تحقق بعض الاشياء اسقط الاسرى سياسة الارهاب المباشر والقمع.

- بعد ذلك حالة من الترهل، سببها التيارات المختلفة ، يعني الوعي له مشاكله، تعرضت وحدة الاسرى للانتكاس. حيث الانتظار للتحرر من الاسر، تطورات سلبية احداث ايلول، وفاة جمال عبد الناصر، الانعكاسات، خروج الثورة من الاردن وجزر في النشاط والحياة الجماعية للأسرى.

- لكن لم تنعدم روح الجماعية تماما عندما كانوا يتعرضوا لهجمة شرسة، وذلك عندما حصل التمرد الفردي والجماعي في عسقلان في العام 1971.

- بالمقابل محاولات خلق عمل تنظيمي من بعض الكادر المتماسك، كتب وثقافة واهتمام ثقافي من لغات، نظريات ثورية، فلسفة، وهذا كله اسس لمرحلة لاحقة، لإعادة اللحمة للحركة الاسيرة مجددا والانطلاق.

1973 – 1976: الحركة الوطنية الاسيرة

- نشوة حرب 1973 شكلت رافعة للأسرى، ونهوض وطني عام، صياغة دستور، وانظمة داخلية وتبلورت الحركة الاسيرة بشكل واع، وملامح بناءها اصبحت واضحة.

- داخليا اساليب العمل الديمقراطي المؤسسي وساهمت الثقافة في ادخال المفاهيم واسترشاد لتطوير البناء وتمكينه. وقد تم ضبط العمل الانتاجي وانهاءه لأنه عامل من عوامل الترهل والانفلاش حتى العام 1976 انتهى.

- ترافق الاعتراف بمنظمة التحرير ممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني ونضالات الاسرى المستمرة ادى الى ترسيخ مصطلح "الحركة الوطنية الاسيرة" على الاسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال.

- انتظام فصائلي ومرجعيات تنظيمية تبلورت بتدرج، لجان اعتقاليه وطنية. تنسيق بين قيادات الحركة الاسيرة، الفصائلية.

- خوض اضرابات لانتزاع حق الانتظام التنظيمي وادخال بعض الكتب. انشاء مدرسة في سجن نابلس بإشراف تيسير قبعة.

- اقبال واسع من امتدادات الجبهة على التثقيف الماركسي– اللينيني، واقبال فتح على تعليم اللغات، تجارب ومقولات تحررية وتأمين مكتبات اولية.

- نشوء جيل جديد من الكادرات والقيادات والحرص على بناء المزيد منها..

1976–1978: مزيد من تركيم الانجازات

- مطالب جذرية واضرابات كبيره واسفرت عن العديد من النتائج الايجابية ومن ثمارها ان الكثير من القيود والممنوعات انتهى.

- استطاع الاسرى ان يغلقوا مرة وللابد ملف العمل الماجور الانتاجي لصالح الاقتصاد الإسرائيلي، وابقوا على العمل غير المأجور لصالح الاسرى.

1979 : تبادل الاسرى

حصلت عملية النورس وهي تبادل الاسرى بين منظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين– القيادة العامة والاحتلال الاسرائيلي، والتي افرج فيها عن 74 اسير واسيرة. وتم ابعادهم خارج فلسطين المحتله.[28]

1980: الاضراب التاريخي لسجن نفحة

- افتتاح سجن نفحة الصحراوي، ونقل قيادات الحركة الاسيرة اليه بظروف قاسية وقمعية دون ادى الظروف الانسانية والمخالفة للقوانين والاعراف الدولية والانسانية.

[28] في هذه العملية لتبادل الاسرى تحررت الأسيرة عايشه عودة احدى المبحوثات في هذه الدراسة، وابعدت الى الاردن.

- اضراب نفحة الشهير والذي اسس لنقلة نوعية في اوضاع الاسرى ايجابيا واستمر 32 يوما.

- ولكن الثمن استشهاد ثلاثة اسرى : راسم حلاوة، علي الجعفري، ولاحقا اسحاق مراغة، نتيجة محاولة ادارة السجون تغذيتهم بالقوة عبر الزوندا[29].

- انتقل مركز الثقل من عسقلان الى نفحة، وفيه تم تكثيف الجوانب الفكرية والثقافية والوحدة الداخلية لمواجهة الظروف القاسية.

- في الثمانينات اصبحت المكتبات شرعية بمئات الكتب في كل سجن وشهدت تنوعا كبيرا في مختلف الحقول لا سيما المكتبة الاشتراكية.

- تضاعفت اعداد الحركة الاسيرة، ورجح حجم فتح على حجم الجبهة الشعبية، وبات ثلاثة اضعاف ان لم يكن اكثر، حيث غلب على الاسرى الطابع الفدائي.. وانشئت سجون جديدة واقسام جديدة.

1983: الاسيرات

- اغلقت الاسيرات وبنضال استمر 13 شهرا من اضراب تمثل برفض الخروج من الغرف، مع اضرابات عن الطعام متفرقة، ملف العمل المأجور لصالح الاقتصاد الاسرائيلي، وابقت على العمل غير الماجور لصالح الاسيرات.

[29] الزوندا هي عبارة عن انبوب تغذية يتم وضعه بالقوة في فم الاسير المضرب ليصل الى معدته، ولكن نتيجة استخدام القوة لرفض الاسير التغذية الاجبارية، بالغالب يصل الى القصبة الهوائية ويمزقها ما يحدث نزيف ثم الاستشهاد.

- عملية تبادل للأسرى ما بعد الاجتياح الاسرائيلي تحرر بها حوالي 100 اسير واسيرة من سجون الاحتلال في فلسطين المحتلة، اضافة لأكثر من 4500 من سجن انصار في الجنوب اللبناني.

1984: اضراب تاريخي آخر

- استطاع الاسرى وعبر اضراب موحد في كافة السجون قاده سجن جنيد المركزي والواقع في نابلس من تحقيق انجازات مميزة لتحسين اوضاع السجون، اهمها تحصيل الحق في الحصول على جهاز راديو لكل اسير، وجهاز تلفاز لكل غرفة.

1985: مرحلة جديدة

- ارتاحت الحركة الاسيرة بعد سقوط الكثير من السياسة القمعية، وفيها كان تنمي ثقافية وتعليم والانتساب الى الجامعات. وفيها منسق لجنة اعتقاليه.

- التنسيق بين السجون وعبر الممثلين للفصائل، واللجان الاعتقالية، واللوائح الداخلية، كلها عمليات ترسخت واصبحت تقليد مميز المعالم لدى الحركة الوطنية الاسيرة.

- عملية الجليل، تبادل للأسرى بين الجبهة الشعبية القيادة العامة وسلطات الاحتلال، وفيها تحرر 1155 اسير واسيرة فلسطينية، بعضهم تم ابعاده للخارج الى تونس، وآخرين عادوا الى بيوتهم وذويهم في فلسطين المحتلة.

1987: الانتفاضة الفلسطينية

- اضراب في نيسان شمل كافة السجون للمطالبة بتحسين الاوضاع، شكل حسب المراقبون احد الارهاصات المركزية للانتفاضة مع نهاية العام 1987.

- تنسيق غير مسبوق بين الحركة الوطنية الاسيرة والحركة الوطنية خارج الاسر تحديدا القيادة الوطنية الموحده، خاصة مع تصاعد اعداد الاسرى الفلسطينيين بفعل تصاعد النضال الانتفاضي، وفتح معسكرات وسجون جديده.

- السجون تتحول الى رافد جدي للكادر المؤدلج والمنضبط والجاهز للالتحاق بالعمل الانتفاضي من جديد.

- مساهمات ثقافية وتنظيمية من الاسرى لخارج الاسر.

1988: مفصل تاريخي للأسيرات

- انفصال الاسيرات عن الجنائيات والانتقال الى سجن هشارون/تلموند، بعد اضراب استمر اكثر من ثلاثة شهور، امتنعت فيه الاسيرات عن الخروج لغرفة الطعام، او ساحة الفورة ولاحقا زيارة الاهل، تحت شعار الانفصال عن السجينات الجنائيات والاعتراف بالأسيرات كجزء من الحركة الوطنية الاسيرة في السجون الاخرى.

- مرحلة البناء التنظيمي الفصائلي والوطني، وللمرة الاولى لدى الاسيرات لجنة وطنية عامة، وممثلات معتقل، ولاحقا اعتماد اللائحة الاعتقالية العامة لكافة السجون في العام 1990.

- اضراب كافة السجون استجابة لنداء القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة، واصبح اضراب وتقليد سنوي في ذكرى الانتفاضة.

- شهدت السجون بشكل واضح دخول فصيل جديد وبقوة على الساحة الاعتقالية أي اسرى حركة المقاومة الاسلامية حماس، والى حد ما الاسرى من حركة الجهاد الاسلامي.

1992: اضراب غير مسبوق

- تمايزت سنوات الانتفاضة بتصاعد الاجراءات النضالية للأسرى، والتي ترافقت مع قمع ادارة السجون تزامنا مع القمع الاحتلالي للشعب الفلسطيني في الانتفاضة الفلسطينية.

- توسعت السجون مع حجم الاعتقالات الواسع وازدادت المهام التنظيمية.

- اخيرا توج الربع الاخير من العام 1992 بإضراب شامل وعام لكافة السجون كان مركزه كل من عسقلان وجنيد، واستمر اكثر من 18 يوما، وكان نتيجته تحقيق انجازات غير مسبوقة للحركة الوطنية الاسيرة، من تحسين الطعام وادخال مواد كثيرة عبر الاهل ، التصوير الشخصي كل سته شهور، هي المرة الاولى التي يتمكن الاسرى من رؤية انفسهم عبر الصورة الشخصية، وليتمكن الاهل اخيرا من الاحتفاظ بصورهم وملامحهم بعد زمن طويل.

- استشهد الاسير حسين عبيدات في سجن عسقلان نتيجة الاضراب عن الطعام في يومه الاخير.

قائمة المراجع

مراجع عربية

انجلز، فريدريك. *1988. اصل العائلة والملكية الخاصة*. موسكو: دار التقدم.

بشارة، عزمي.2008. *حول تجديد الفكر القومي العربي*. عن موقع تورس ونشر في :الفجر نيوز 24/4/ 2008. http://www.turess.com/alfajrnews/4346 (تم الدخول بتاريخ 2014/4/14).

بورديو، بيير. 2012. *التلفزيون وآلية التلاعب بالعقول*. دمشق: دار كنعان.

الحصري، ساطع.1985. *آراء وأحاديث في الوطنية والقومية*. من سلسلة التراث القومي: اعمال ساطع الحصري. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية

رفيدي، وسام. 2009. *ما بعد اوسلو اشكاليات امام الهوية، في الهوية الفلسطينية الى اين؟ شريف كناعنة(محرر)* البيره: جمعية انعاش الاسرة، مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني.

الرياحي، اياد. 2007. *الواقع التنظيمي للحركة الفلسطينية الاسيرة من 1988-2004*. فلسطين: مواطن- المؤسسة الفلسطينية لدراسات الديمقراطية.

صحيفة الاتحاد. 1983. *تصدر في حيفا العدد الصادر بتاريخ 1983/7/19*. لا يوجد صفحة.

عبد الرزاق، حسين. 1977. *مصر في 18 و19 يناير*. مصر: دار الكلمة.

عزم، احمد جميل (محرر). 2010. *نجمة كنعان: المقاومة المدنية والثقافية الفلسطينية معركة الهوية*. عمان: البيارة ودار فضاءات.

فارس، عوني. 2012. *ملامح من الحياة الثقافية والتعليمية للأسرى الفلسطينيين داخل سجون الاحتلال في العقد الأخير*. مجلة الدراسات الفلسطينية . ع 90 ربيع 2012. ص 32.

الفاهوم، وليد. 1985. *طيور نفي ترتسيا: فلسطينيات في سجن النساء الاسرائيلي*. عمان: دار الجليل.

فراونه، عبدالناصر. 2004. *في الذكرى الـ21 لاستشهاد الأسير ابراهيم الراعي نيسان الشهداء .. وحكاية أبى المنتصر*. اخذت عن موقع : http://www.palestinebehindbars.org (تم الدخول بتاريخ 2014/4/12).

فوكو، ميشيل. 1990. *المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن*. مركز الانماء القومي: بيروت.

كناعة، شريف. 2005. نحو الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية. الفلسطينيون *في اوروبا: اشكاليات الهوية والتكييف. عباس شبلاق (محرر)*. فلسطين: مؤسسة الدراسات المقدسية ومركز شمل.

محمد، زكريا. 2005. *الجغرافي والمقدس ونص الهوية الفلسطينية*. مجلة الدراسات الفلسطينية: م 16. ع 62

محمود، لينا. 2005. بريطانيون فلسطينيون: تحولات مجتمع المنفى. *الفلسطينيون في اوروبا: اشكاليات اهوية والتكييف. عباس شبلاق (محرر)*. فلسطين: مؤسسة الدراسات المقدسية ومركز شمل.

موقع فراس. 2013. *العصيان المدني بيت ساحور* . http://fpnp.net/site/news/538 (تم الدخول بتاريخ 2014/4/12)

الهندي، خالد. 2000. *التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الاسيرة. فلسطين*: مواطن- المؤسسة الفلسطينية لدراسات الديمقراطية. سلسلة اوراق بحثية.

موقع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين http://www.pflp.ps/

مراجع اجنبية

*A*lthusser, L. (1970), "Ideology and Ideological State Apparatuses" *in Lenin and Philosophy and other Essays (1971),* translated by Ben Brewster. New York: Monthly Review Press.

Anderson, Benedict. 1991. *Imagined Communities.* New York: Verso

Feldman, Allen. 1991. *Formations of Violence.* Chicago: The University of Chicago press.

Hobsbawm, E.J. 1992. *Nations and Nationalism: Programme, Myth, Reality.* UK: Cambridge university press.

Khalidi, Rashid. 1997. *Palestinian identity: the construction of modern national consciousness.* New York: Columbia university press.

Nashif, Esmail. 2008. *Palestinian Political Prisoners: Identity and community.* New York: Routledge.

Sands, Bobby. 1983. *Writings from prison.* Cork: Mercier press

نصوص كتبها الاسرى ومنشورة

ابو بكر، قدري. 1989. *من القمع الى السلطة الثورية* . عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والابحاث.

ابو عباية، حافظ. البيروتي، محمد. 2013. *نصب تذكاري*. فلسطين: وزارة شؤون الاسرى والمحررين.

جابر، عدنان. 1979. *ملحمة القيد والحرية: عالم أسرى المقاومة الفلسطينية في سجون العدو الاسرائيلي*. بيروت: دار الطليعة.

جاد الله، سلمان. 2000. *منابع ادرب الحركة الاسيرة الوطنية: مخطوطة نفحة 1991*. غزة: جمعية الاسرى المحررين حسام.

د.م. 1985. *السجن ليس لنا*. سجن نفحة: د.ن

الرجوب، جبريل. 2014. *نفحة يتحدث بعد ثلاثة وثلاثين عاما: معركة الامعاء. .سجن نفحة 1980*. رام الله: دار الشروق.

الشنار، حاتم اسماعيل. 2010. *خمس نجوم تحت الصفر. سلسلة ادب السجون*. رام الله: وزارة الثقافة الفلسطينية، الادارة العامة للآداب والنشر.

عودة، عايشة. 2012. *ثمنا للشمس*. رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

عودة، عايشه. 2007. *احلام بالحرية*. رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسات الديمقراطية.

القاق، محمد. 1993. *اوراق محررة*. عمان: دار الينابيع للنشر والتوزيع.

منصور، عصمت.2012. *السلك*. رام لله: الرصيف للنشر والتوزيع.

يونس، فاضل. 2008. *من وحي التجربة الاعتقالية: سيرة ذاتية*. رام الله: مركز بيت المقدس للأدب.

نصوص انتجها الاسرى غير منشورة

الجبهة الشعبية. 1989. *مجلة الثورة مستمرة*. مجلة صادرة عن منظمة الشهيد الخالد جيفارا غزة ، سجن غزة المركزي.

الجبهة الشعبية. (1991). *يتوجب تقييم الكادر على اسس تمليها المرحلة*. من كراس فلسفة العمل : ص23. سجن غزة المركزي.

الجبهة الشعبية. (1991). *توسيع اللجان الحزبية*. من كراس فلسفة العمل : ص10. سجن غزة المركزي.

الجبهة الشعبية. 1984. *المؤتمر الخامس. التقرير التنظيم، الثقافي، المالي*. سجن غزة المركزي.

الجبهة الشعبية. 1990. *مجلة الثورة مستمرة، زاوية الانتفاضة* ص 22 – الموضوعة الاعتقالية

سجن غزة (1992). *وثيقة اتفاق حول تركيب ومهام اللجنة الوطنية في معتقل غزة (قلعة الساحل). 1992/11/14.*

فتح. 1988. *صوت العاصفة. مجلة ثقافة*. سجن جنيد

سجن نفحة. د.ت . *رسالة لمجلس طلبة جامعة بيت لحم. اسرى الحرية في السجون والمعتقلات الاسرائيلية.*

فتح. 1983 . *النشرة الادارية* . سجن جنيد .

فتح. ايلول 1983. *النشرة الثقافية*. سجن جنيد

فتح (1985)، *النشرة الادارية 1985/9/4*. سجن جنيد

فتح. 1985/10. *النشرة الادارية*. سجن جنيد.

الاسيرات. 1990/11/28. *اللائحة الاعتقالية للأسرى*. سجن الشارون.

الجبهة الشعبية . حزيران 1991. *مجلة الثورة مستمرة*. مجلة صادرة عن منظمة الشهيد الخالد جيفارا غزة ، سجن غزة المركزي.

مقابلات

قطامش، احمد. 2012. *مقابلة شخصية اجريتها معه، وتم اخذ ملاحظات دون تسجيل*. رام الله.

عودة، عايشه. *مقابلة جرت بتاريخ 2014/4/23*. في بيتها وتم تسجيلها صوتيا ومرئيا.

الشنار. حاتم. 2014.*مقابلة شخصية بتاريخ 2014/4/25*. في بيته وتم تسجيله صوتيا ومرئيا.

ابو بكر، قدري. 2014. *مقابلة بتاريخ 2014/4/30*. اجريت في مكتبه وتم تسجيلها صوتيا ومرئيا.

مؤتمرات:

ابو دحو، رلى. 2012. *شهادة عن زمن لم يمض. الاسيرات في سجون الاحتلال، في مؤتمر ارادة تحدت القيد*. مركز ابو جهاد لشؤون الحركة الاسيرة. عقد في البيرة في قاعة الهلال الاحمر الفلسطيني.

مقابلة متلفزة:

البرغوثي، عمر. 2014/12/18. *مقابله متلفزه من برنامج شباب الوطن* ، عرضت على قناة فلسطين اليوم. تحت عنوان ادب السجون.

اتفاقيات دولية

اتفاقية جنيف الثالثة: http://www1.umn.edu/humanrts/arab/b092.html

قائمة بالملاحق الاضافية:

الملحق الاول: نموذج للرسائل الشخصية التي كان يستعملها الاسرى ومحددة المساحة حسب ادارة السجون الاسرائيلية

الملحق الثاني: نموذج لرسالة داخلية بين اسرى حركة فتح، والاسيرات من الجبهة الشعبية لمناسبة عيد الاضحى. وفيها رموز تتجلى العديد من رموز الهوية.

الملحق الثالث: نموذج لرسالة بين حركة المقاومة السرية لسرى الجولان السوري المحتل، واسيرات الجبهة الشعبية ويظهر بها دلالات عبر ديباجة الرسالة وتحياتها الختامية.

الملحق الرابع: نموذج لرسالة مهربة (الملبسه)تحمل عدد من الثورة المستمرة وتوقيع سجن كفار يونا(ك.يونا)

الملحق الخامس: مقدمة اللائحة الاعتقالية التي وردت في الدراسة.

الملحق السادس: رسالة من المحطة الحزبية (الخاصة باسرى الجبهة الشعبية) الى منظمة الشهيد ابو جمال(اسحق مراغة) في سجن نفحة.

الملحق السابع: نتائج اضراب العام 1992 حسب ما اوردته مؤسسة مناديلا وتم تعميمه على السجون كما هو مرفق هنا.

الملحق الثامن: مجموعة رسوم للأسيرين زهدي العدوي، ومحمد الركوعي، يظهر بها كم هائل من الرموز والدلالات ذات العلاقة بموضوع الدراسة، وتكثف الخلاصة لما جاءت به الدراسة لعلاقة الاسرى الفلسطينيين والهوية الوطنية.

الملحق الاول

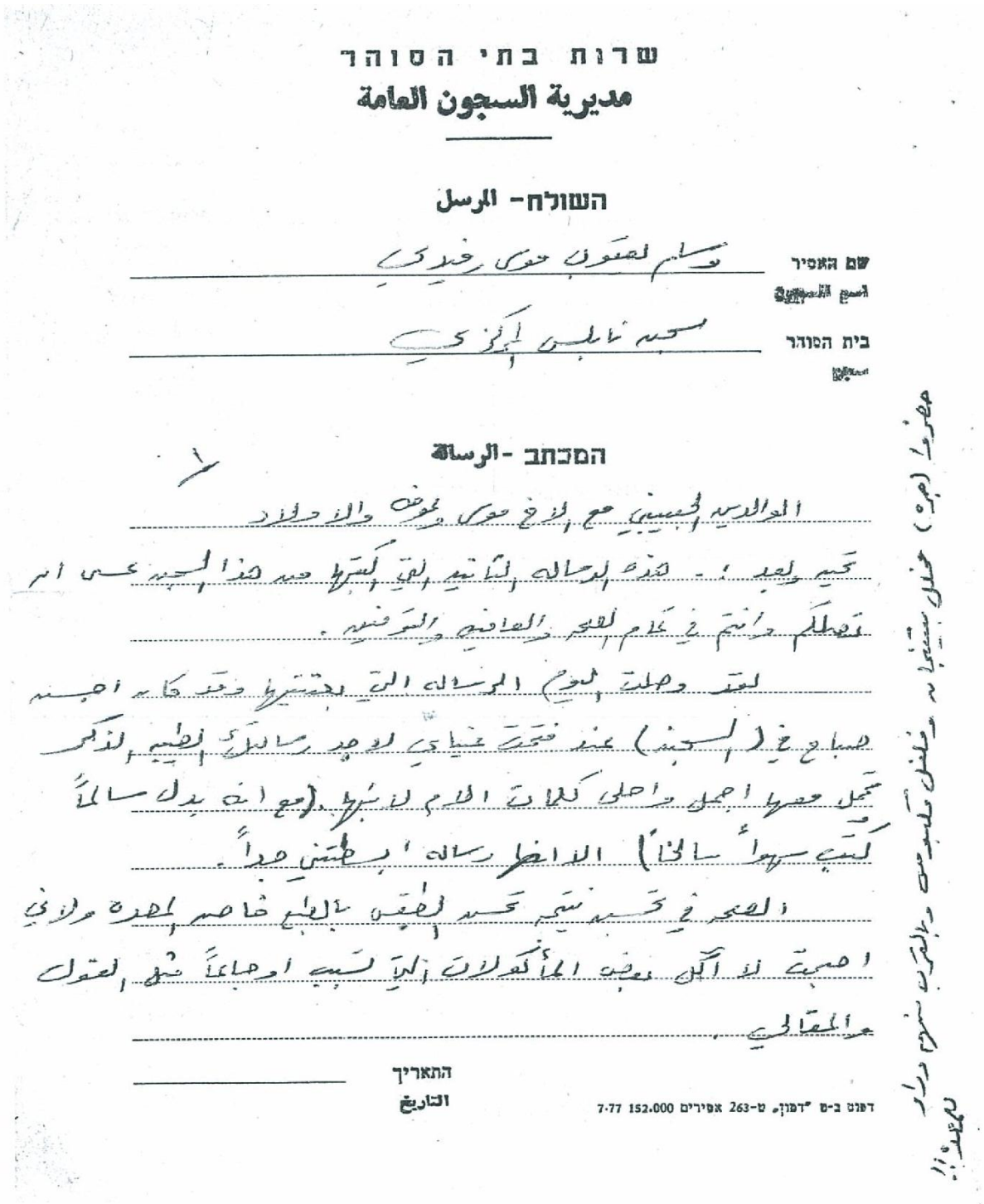

שרות בתי הסוהר
مديرية السجون العامة

השולח- المرسل

שם האסיר
اسم السجين: وسام لطفي حمدي رضيدي

בית הסוהר
السجن: نابلس الكزي

המכתב - الرسالة

١

الوالد الحبيب مع بالغ حبي وشوقي والاولاد

تحية وبعد ، هذه الرسالة الثانية التي اكتب بها هذا الجنيه على امل
ان تصلكم وانتم في تمام الصحة والعافية والسرور .

لقد وصلت الرسالة التي بعثتموها وقد كان اجمل
صباح في (السجن) عند فتحة غرفتي لوجد رسالتك الطيبة التي
تحمل خبرا جميلا واحلى كلمات الدنيا لانها (مع انه بدل سالما
كتب سهوا سالفا) الا انظر رسالة ابي طيبة جدا .

الصحة في تحسن بحمد الله والطبيب خاصة بعدة مرتي
اصبحت لا آكل بعض المأكولات التي تسبب اوجاعا في المعدة
والمقالي .

التاريخ
التاريخ

דפוס ב-ס "דפנה" ט-263 אפיריים 152.000 7-77

صفحة (ص) محفوظ بسبب ما فيها من معلومات شخصية وبالتالي لا يمكن نشرها

الملحق الثاني

الملحق الثالث

رفيقات الباسلات : في منفاه الشهيد شادية أبو غزاله .

تحيه الثورة وشرف الانتماء لها ولفلسطين ، تحيه الأرض المقدسه ، تحيه الشهداء الأبرار ، تحيه رفاقيه وبعد ...

ستة وعشرون عاماً مضت لتطوي دورة زمنية منه كفاح والعطاء الثوري والوطني المتواصل ، مكتوبة بالدماء والمعاناة وبدموع الأحرار ، فبينه طيات تاريخ الأرض والقضيه تجذرت . والسؤال اذ يضاء دوراً جديداً على درب الاستمرار والتواصل الكفاحي ثورياً وجماهيرياً وشعبياً على أمتداد وأنتشار الثوار الفلسطيني في ساحة الأرض المحتله وتجمعات الشتات وما وراء الحدود والقضبان .

رفيقاتنا الصامدات : في مستهل أحتفالنا وأياكنّ بهذه الذكرى الغذيزه ، بعيد عاماً وفجراً جديد لفصيلكنّ الرائده واحدة من بينه فصائل الثورة الفلسطينيه " الجبهة الشعبيه لتحرير فلسطين " بأنطلاقتها السابع والعشرون ، لتعلنه بالثأر أصراراً وتحدياً ممنه قاتلتها وفصلها الكفاحي والثوري المتجذر على كافة المستويات السياسيه والجماهيريه تأكيداً منها على دورها وحضورها الفعال .

أذ بنا نحنه رفاق المقاومه أسرى الجولان المحتل في معتقل نمرود نتوجه اليكنّ ببرقيتنا هذه مرفقينكنّ بالذكرى والانطلاقه معاً . مؤكدين لكنّ على دور وكفاحة جبهتكنّ السياسيه والكفاحيه لكونها وكتيبة من الرائعات الثوريه والثابته الدائمه لقضايا الشعب والجماهير الفلسطينيه . وعلى أن يكون هذا العام مكللاً بالعطاء والوحدة الوطنيه وكما نؤكد على وحدة العلاقة الوطنيه لجماهيرنا الصامده في الأرض المحتله بفلسطين والجولان على أمل التحرير والعوده وبناء الوطن الواحد والموحد تحت راية واحده .

عاشت الجبهه الشعبيه لتحرير فلسطين قيادة وقاده .

عاشت المذكرات

عاشت الانتفاضه

عاشت وحدة العلاقة الجماهيريه بالأرض المحتله

المجد والخلود لشهداء القضيه والانتفاضه .

الخزي والعار للعملاء والمستسلمين

وأنها لثورة حتى تحرير الأرض والانسان

وتقبلوا فائق احترامنا الرفاقيه .

عنه رفاقكم في حركة المقاومه السوريه .

الجولان العربي السوري المحتل .

معتقل نمرود 14/11/1985

قلعة الشهداء عين فاره محتل

الملحق الرابع

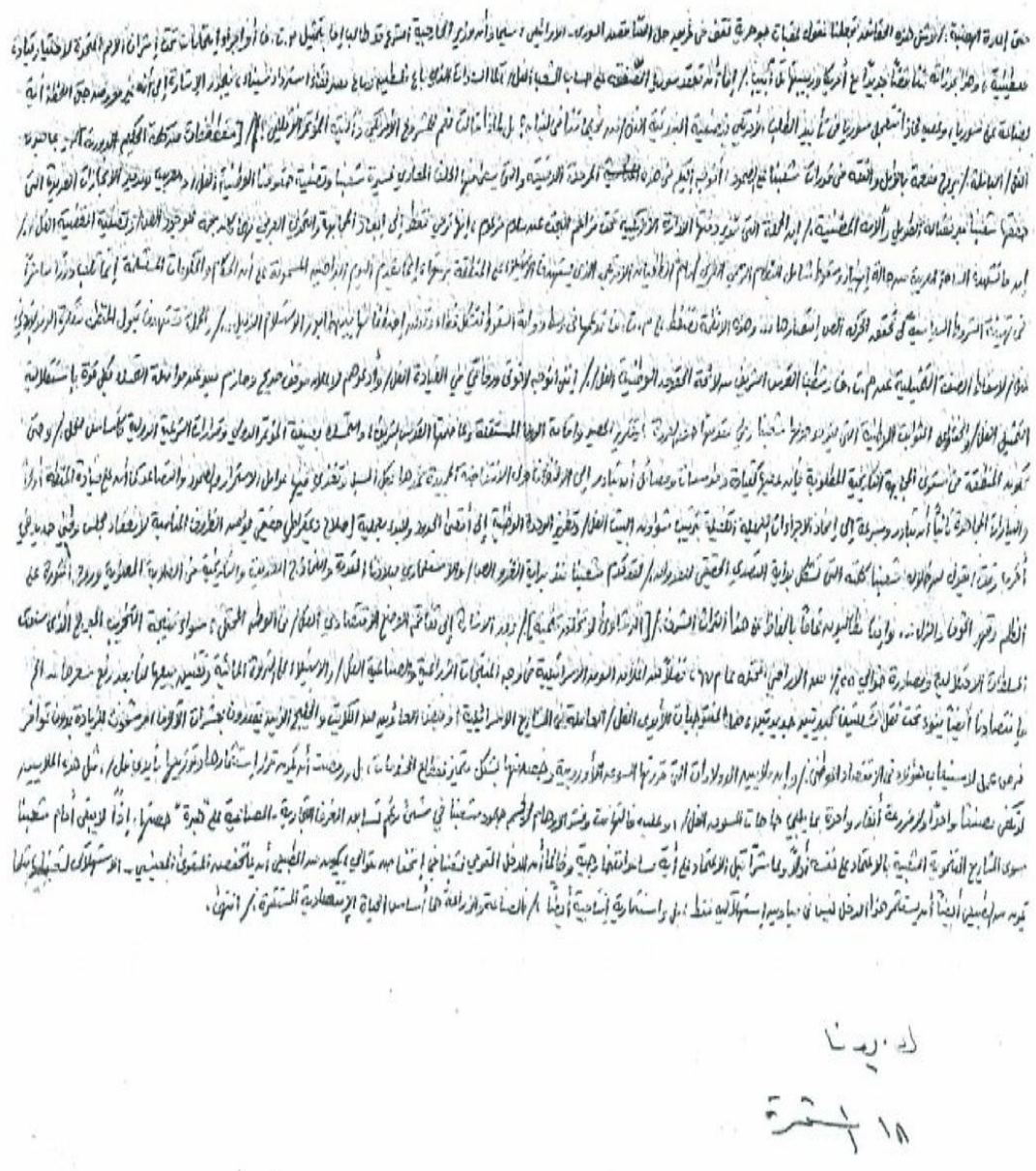

الملحق الخامس

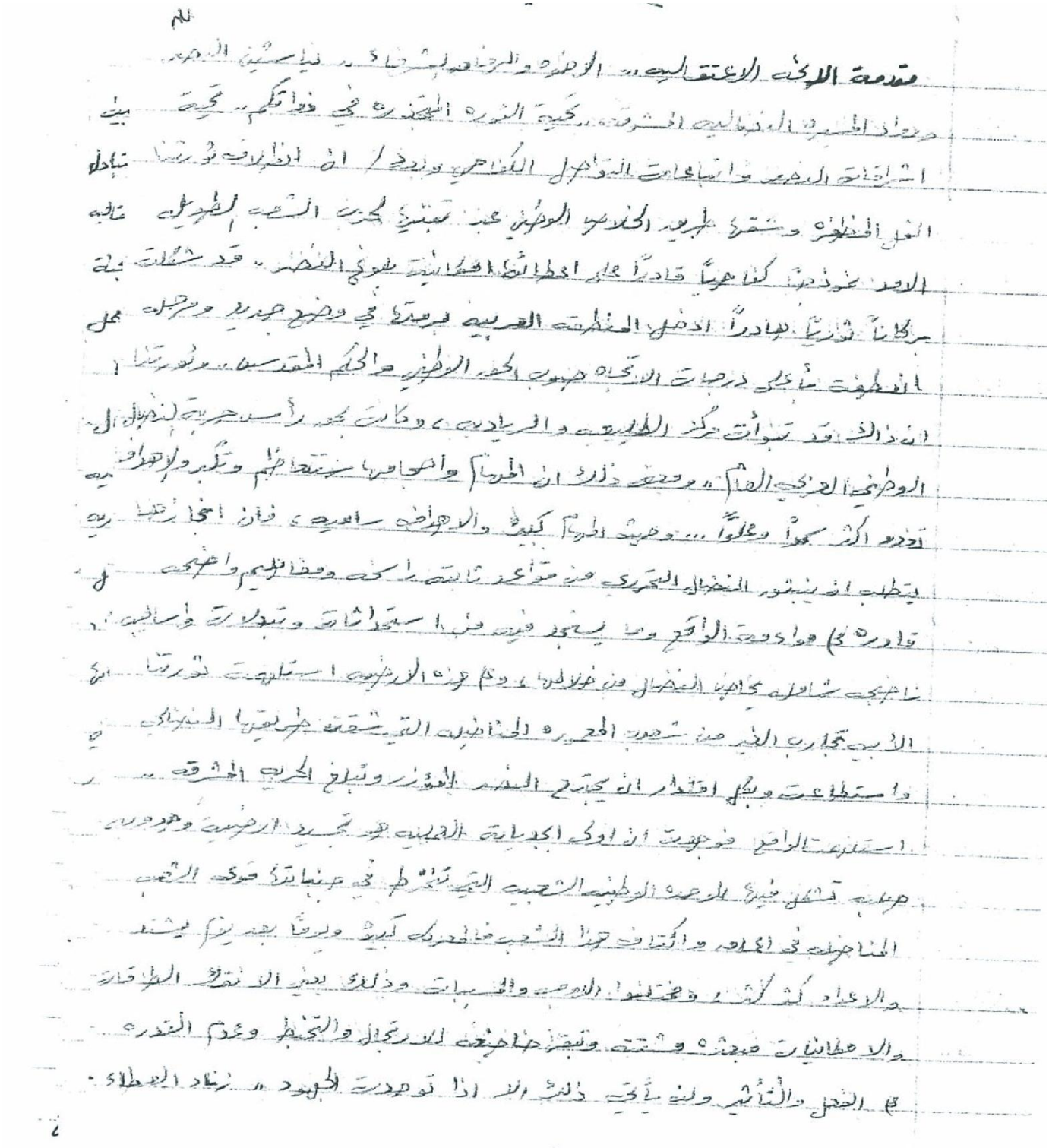

الملحق السادس

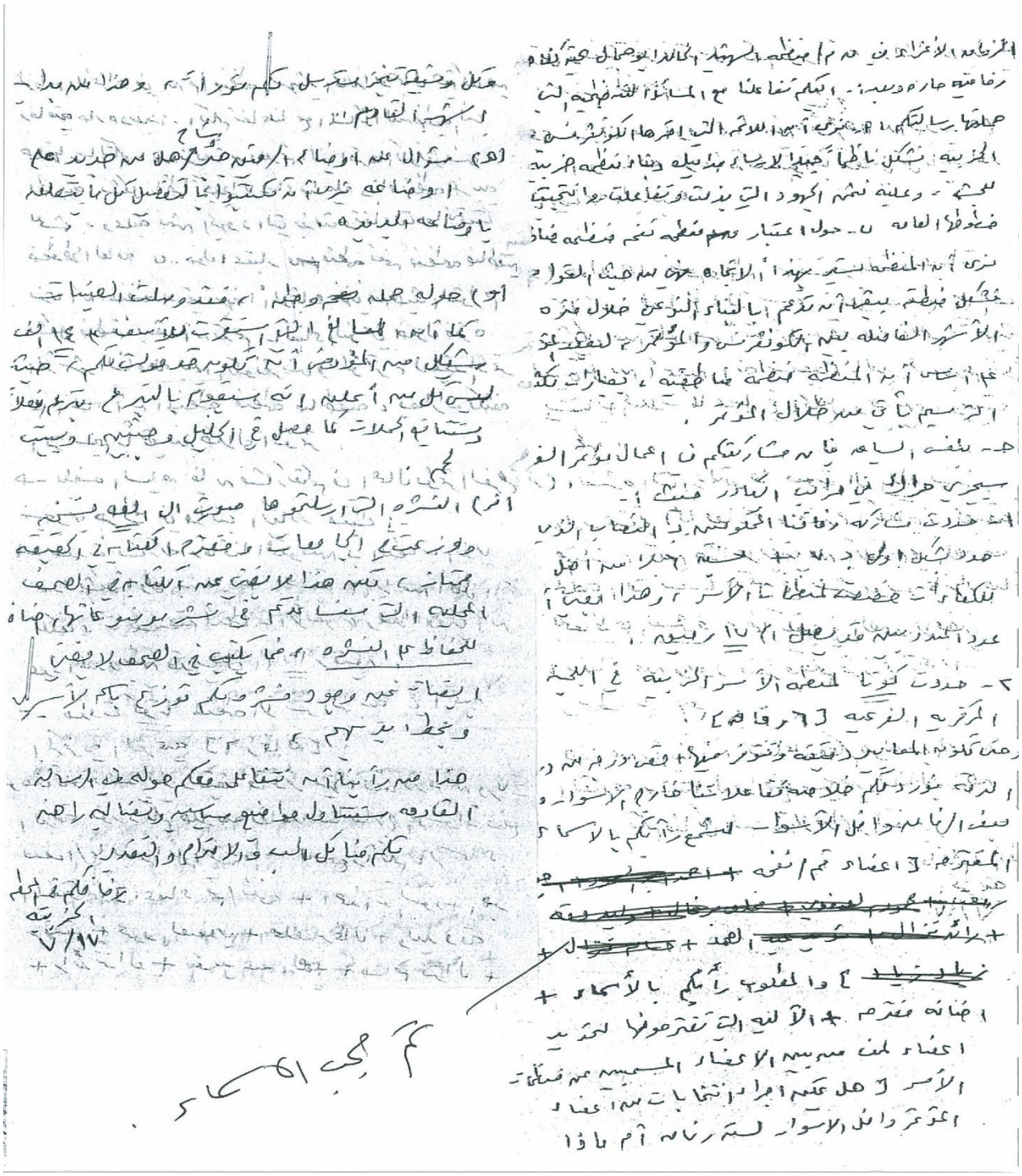

الملحق السابع

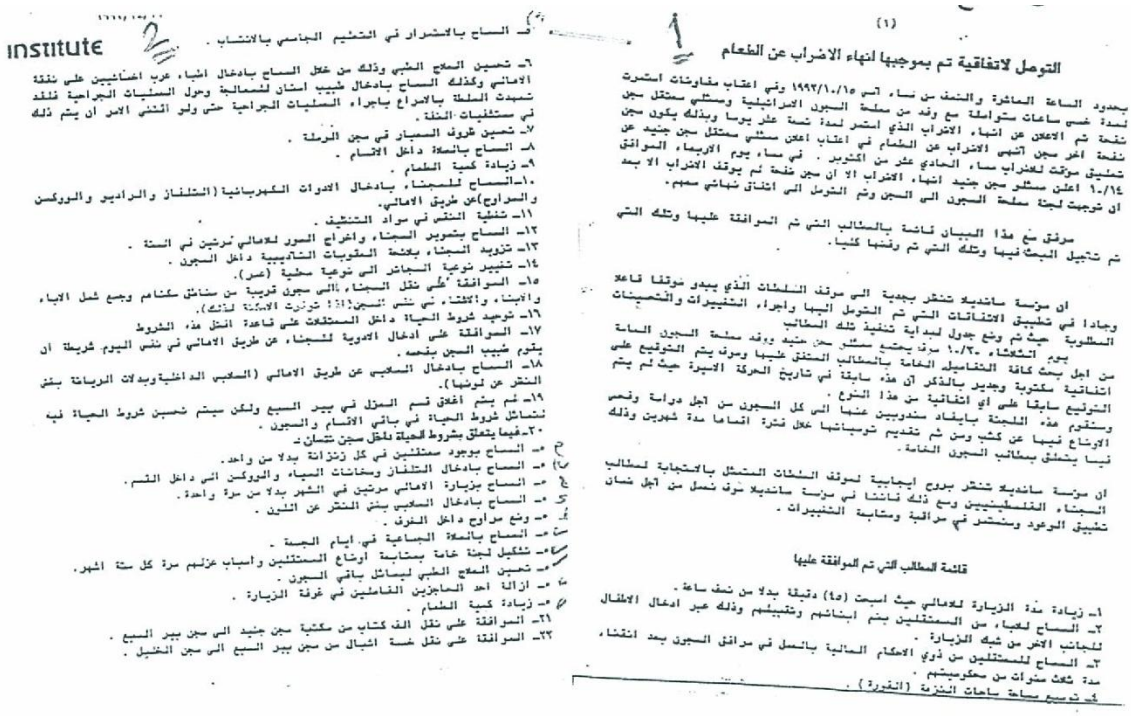

التوصل لاتفاقية تم بموجبها انهاء الاضراب عن الطعام

بحدود الساعة العاشرة والنصف من مساء أمس ١٥/١٠/١٩٩٢ وفي اعقاب مفاوضات استمرت لمدة خمس ساعات متواصلة مع وفد من سلطة السجون الاسرائيلية ومسئلي معتقل سجن نفحة تم الاعلان عن انهاء الاضراب الذي استمر لمدة ثمة عشر يوما وبذلك يكون سجن نفحة اخر سجن انهى الاضراب عن الطعام في اعتاب اعلن مسئلي معتقل سجن جنيد عن تعليق موقت للاضراب مساء الحادي عشر من اكتوبر . في مساء يوم الاربعاء الموافق ١٤/١٠ اعلن مسئلو سجن جنيد انهاء الاضراب الا ان سجن نفحة لم يوقف الاضراب الا بعد ان توجهت لجنة سلطة السجون الى السجن وتم التوصل الى اتفاق نهائي معهم.

مرفق مع هذا البيان قائمة بالمطالب التي تم الموافقة عليها وتلك التي تم تأجيل البحث فيها وتلك التي تم رفضها كليا.

ان مؤسسة ساندبلا تنشر بجدية الى مرفق السلطات الذي يبدو موقفا قاعدا وجادا في تطبيق الاتفاقات التي تم التوصل اليها واجراء التغييرات والتحسينات المطلوبة حيث تم وضع جدول لبداية تنفيذ تلك المطالب

بوم الثلاثاء ٢٠/٧/٠٠ سوف يجتمع مسئلو سجن جنيد ووفد سلطة السجون العامة من اجل بحث كافة التفاصيل الخاصة بالمطالب المتفق عليها وسوف يتم التوقيع على اتفاقية مكتوبة وجديد بالذكر أن هذه سابقة في تاريخ الحركة الاسيرة حيث لم يتم التوقيع سابقا على أي اتفاقية من هذا النوع .

وستقوم هذه اللجنة بايفاد سندوبين عنها الى كل السجون من أجل دراسة وفحص الاوضاع فيها عن كثب ومن ثم تقديم توصياتها خلال فترة اقصاها مدة شهرين وذلك فيما يتعلق بمطالب السجون العامة .

ان مؤسسة ساندبلا تنشر بدوح ايجابية لموقف السلطات المتمثل بالاستجابة لمطالب السجناء الفلسطينيين ومع ذلك فاننا في مؤسسة ساندبلا سوف نعمل من أجل ضمان تطبيق الوعود وسنشر في مراقبة ومتابعة التطبيقات .

قائمة المطالب التي تم الموافقة عليها

١- زيادة مدة الزيارة للاهالي حيث اصبحت (٤٥) دقيقة بدلا من نصف ساعة .
٢- السماح لاطباء من المعتقلين بتم ابنائهم وتقبيلهم وذلك عبر ادخال الاطفال للجانب الاخر من شبك الزيارة .
٣- السماح للمعتقلين من ذوي الاحكام العالية بالعمل في مرافق السجون بعد انقضاء مدة ثمان سنوات من محكوميتهم .
٤- توسيع مساحة ساحات الفورة (الفورة) .
٥- السماح بالاستمرار في التعليم الجامعي بالانتساب .
٦- تحسين العلاج الطبي وذلك من خلال السماح بادخال اطباء عرب اخصائيين على نفقة الاهالي وكذلك السماح بادخال طبيب اسنان لمعالجة وحول المعتقلات الجراحية فقد شهدت السلطة بالاسراع باجراء العمليات الجراحية حتى ولو اقتضى الامر ان يتم ذلك في مستشفيات النقبة .
٧- تحسين ظروف السجن في سجن الرملة .
٨- السماح بالصلاة داخل الاقسام .
٩- زيادة كمية الطعام .
١٠- السماح للمحتجزات بادخال الادوات الكهربائية (التلفاز والراديو والووكمن والمراوح) عن طريق الاهالي.
١١- تنظيف النفق في مواد التنظيف .
١٢- السماح بتصوير السجناء واخراج الصور للاهالي مرتين في السنة .
١٣- تزويد السجناء بعشرة المطبوعات التاديبية داخل السجون .
١٤- تغيير نوعية السجائر الى نوعية محلية (عمر).
١٥- الموافقة على نقل السجناء الى سجن قريبة من مناطق سكناهم وجمع شمل الاباء والابناء، والاقتداء في نفس السجن(إذا توفرت الامكانية لذلك).
١٦- توحيد شروط الحياة داخل المعتقلات على قاعدة انقل هذه الشروط
١٧- الموافقة على ادخال الادوية للسجناء عن طريق الاهالي في نفس اليوم شريطة ان يقوم شبيب السجن بفحصه .
١٨- السماح بادخال الملابس عن طريق الاهالي (الملابس الداخلية وبدلات الرياضة بفتح النشر عن لونها).
١٩- لم يتم اغلاق قسم العزل في بير السبع ولكن سيتم تحسين شروط الحياة فيه لتماثل شروط الحياة في باقي الاقسام والسجون .
٢٠- فيما يتعلق بشروط الحياة داخل سجن نشان :
أ- السماح بوجود معتقلين في كل زنزانة بدلا من واحد.
ب- السماح بادخال التلفاز وخانات المياه والووكمن الى داخل القسم.
ج- السماح بزيارة الاهالي مرتين في الشهر بدلا من مرة واحدة.
د- السماح بادخال الملابس بفتح النشر عن اللون .
هـ- وضع مراوح داخل الغرف .
و- السماح بالصلاة الجماعية في ايام الجمعة .
ز- تشكيل لجنة خاصة بمتابعة أوضاع المعتقلين واسباب عزلهم مرة كل ستة اشهر.
ح- تحسين العلاج الطبي لباقي السجون .
ط- ازالة احد الحاجزين الفاصلين في غرفة الزيارة .
ي- زيادة كمية الطعام .
٢١- الموافقة على نقل الف كتاب من مكتبة سجن جنيد الى سجن بير السبع .
٢٢- الموافقة على نقل خمسة اشبال من سجن بير السبع الى سجن الخليل .

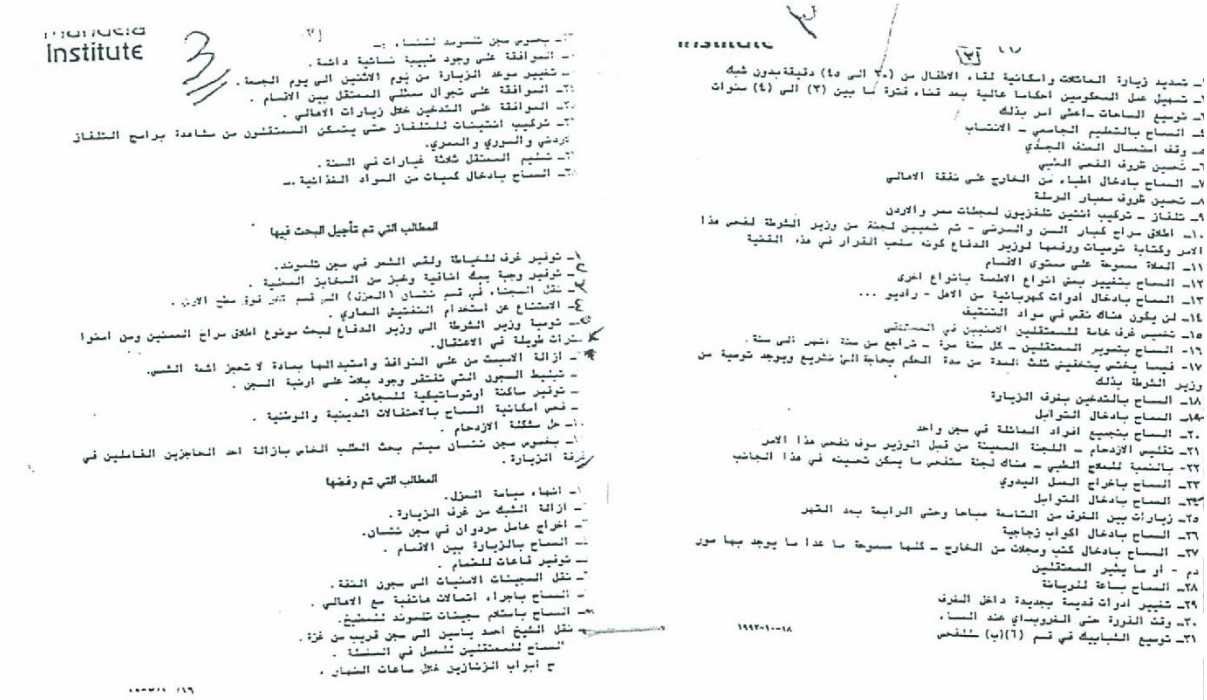

١- تمديد زيارة العائلات واماكنية لقاء الاطفال من (٣٠ الى ٤٥) دقيقة بدون شبك
٢- تسهيل عمل المحكومين احكاما عالية بعد قضاء فترة ما بين (٣) الى (٤) سنوات
٣- توسيع الساحات -اعطى امر بذلك
٤- السماح بالتعليم الجامعي - الانتساب
٥- وقف استعمال العنف الجدي
٦- تحسين ظروف الفحص الطبي
٧- السماح بادخال اطباء من الخارج على نفقة الاهالي
٨- تحسين ظروف سعبار الرملة
٩- تلفاز - تركيب اثنتين تلفزيون لمجلسات سمر والاردن
١٠- اطلق سراح كبار السن والمرضى - تم تعيين لجنة من وزير الشرطة لفحص هذا الامر وكتابة توصيات ورفعها لوزير الدفاع كونه صاحب القرار في هذه القضية
١١- الملاة ممنوحة على مستوى الاقسام
١٢- السماح بتغيير بعض انواع الاطعمة بانواع اخرى
١٣- السماح بادخال ادوات كهربائية من الاهل - راديو ...
١٤- لن يكون هناك نقص في مواد التنظيف
١٥- تخصيص غرف خاصة للمعتقلين الاحداث في المعتقلين
١٦- السماح بتصوير المعتقلين - كل سنة مرة - تراجع من سنة واحدة الى سنة .
١٧- فيما يخص ينخفض ثلث المدة من مدة الحكم بحاجة الى تشريع ويوجد توصية من وزير الشرطة بذلك
١٨- السماح بالتدخين بغرف الزيارة
١٩- السماح بادخال التوابل
٢٠- السماح بتجميع افراد العائلة في سجن واحد
٢١- تثليث الازدحام - اللجنة المعينة من قبل الوزير سوف تفحص هذا الامر
٢٢- بالنسبة للعلاج الطبي - هناك لجنة ستفحص ما يمكن تحسينه في هذا الجانب
٢٣- السماح باخراج العمل اليدوي
٢٤- السماح بادخال التوابل
٢٥- زيارات بين الغرف من التاسعة صباحا وحتى الرابعة بعد الظهر
٢٦- السماح بادخال اكواب زجاجية
٢٧- السماح بادخال كتب ومجلات من الخارج - كلها مسموحة ما عدا ما يوجد بها صور دم - او ما يثير المعتقلين
٢٨- السماح بساعة للرياضة
٢٩- تغيير ادوات قديمة بجديدة داخل الغرف
٣٠- وقت الفورة حتى الغروب-اي عند المساء
٣١- توسيع الشبابيك في قسم (٦)(ب) للشمس

١٨-١٠-١٩٩٢

١- بحضور سجن نشوف لنشان :-
٢- الموافقة على وجود شبيبة نشانية داخلة .
٣- تغيير موعد الزيارة من يوم الاثنين الى يوم الجمعة .
٤- الموافقة على تجوال معتقلي المعتقل بين الاقسام .
٥- الموافقة على التدخين خلال زيارات الاهالي .
٦- تركيب انتينات للتلفاز حتى يتمكن المعتقلون من مشاهدة برامج التلفاز الاردني والسوري والمصري.
٧- تشغيل المعتقل ثلاثة عيارات في السنة .
٨- السماح بادخال كميات من المواد الغذائية :-

المطالب التي تم تأجيل البحث فيها

١- توفير غرف للنياشة ولقسم الشعر في سجن تلموند.
٢- توفير وجبة بيض اضافية وخبز من المخابز المحلية .
٣- نقل السجناء في قسم نشان (العزل) الى قسم آخر قرب مشي الاردن .
٤- الاستماع عن استخدام التفتيش العاري .
٥- توصية وزير الشرطة الى وزير الدفاع لبحث موضوع اطلاق سراح المسنين ومن امضوا سنوات طويلة في الاعتقال.
٦- ازالة الاسيجة من على النوافذ واستبدالها بمادة لا تحجز اشعة الشمس.
٧- تنبيط السجون التي تلتقط وجود بعض على ارضية السجن .
٨- توفير ساكنة اوتوماتيكية للمجاور .
٩- فحص امكانية السماح بالاحتفالات الدينية والوطنية .
١٠- حل مشكلة الازدحام .
١١- بخصوص سجن نشان سيتم بحث الطلب الخاص بازالة احد الحاجزين الفاصلين في غرفة الزيارة .

المطالب التي تم رفضها

١- اشياء مساعة المنزل.
٢- ازالة الشبك من غرف الزيارة .
٣- اخراج عامل مردوان في سجن نشان.
٤- السماح بالزيارة بين الاقسام .
٥- توفير قاعات للطعام .
٦- نقل السجينات الامنيات الى سجون النقبة .
٧- السماح باجراء اتصالات هاتفية مع الاهالي .
٨- السماح باستلام سجينات تلموند لنشيخ.
٩- نقل الشيخ احمد ياسين الى سجن قريب من غزة .
١٠- السماح للمعتقلين للعمل في السنة .
١١- ابواب الزنازين خلال ساعات النهار .

الملحق الثامن

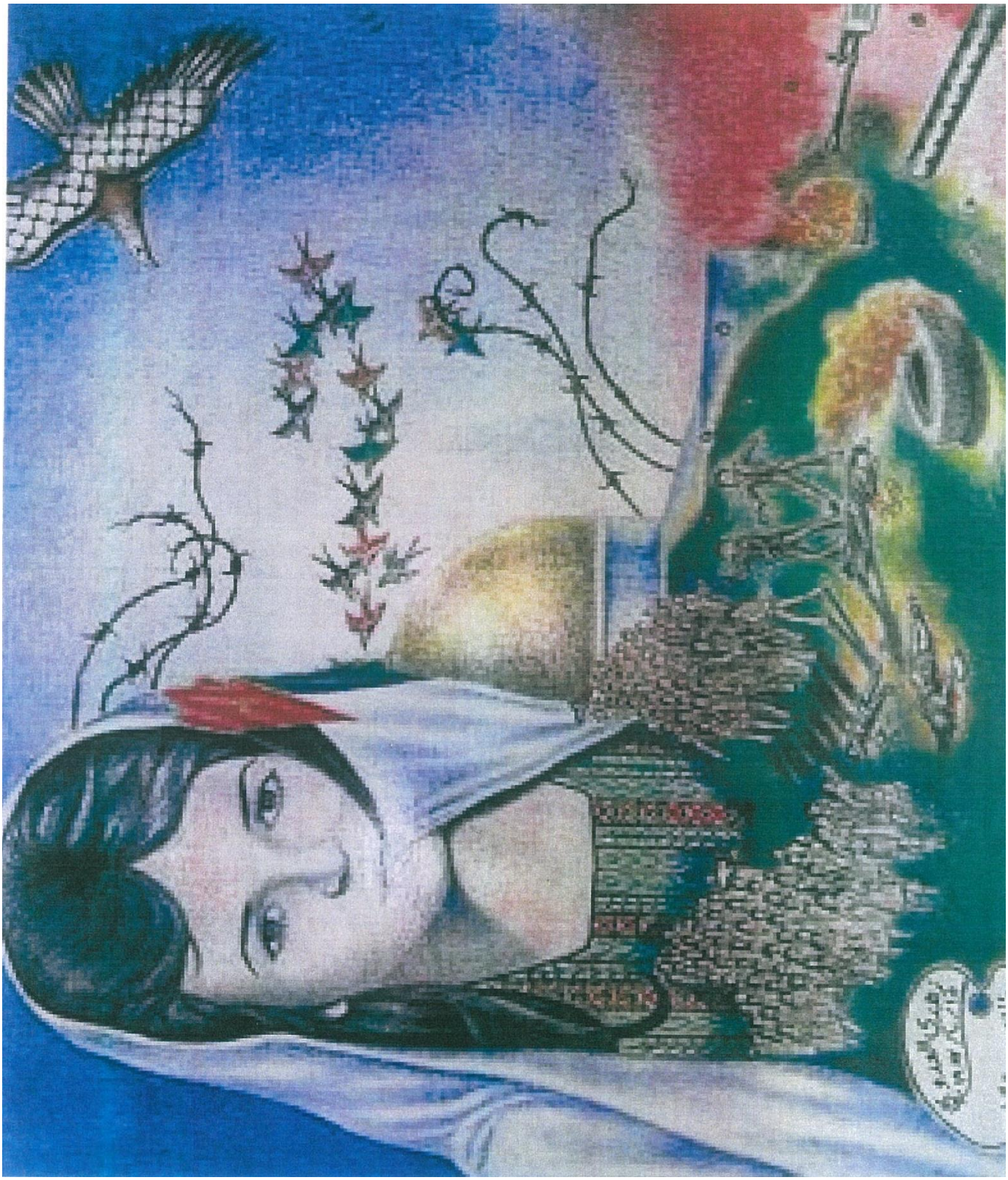

زهدي العدوي
١٥ / ٩ / ١٩٨٢
سجن عسقلان